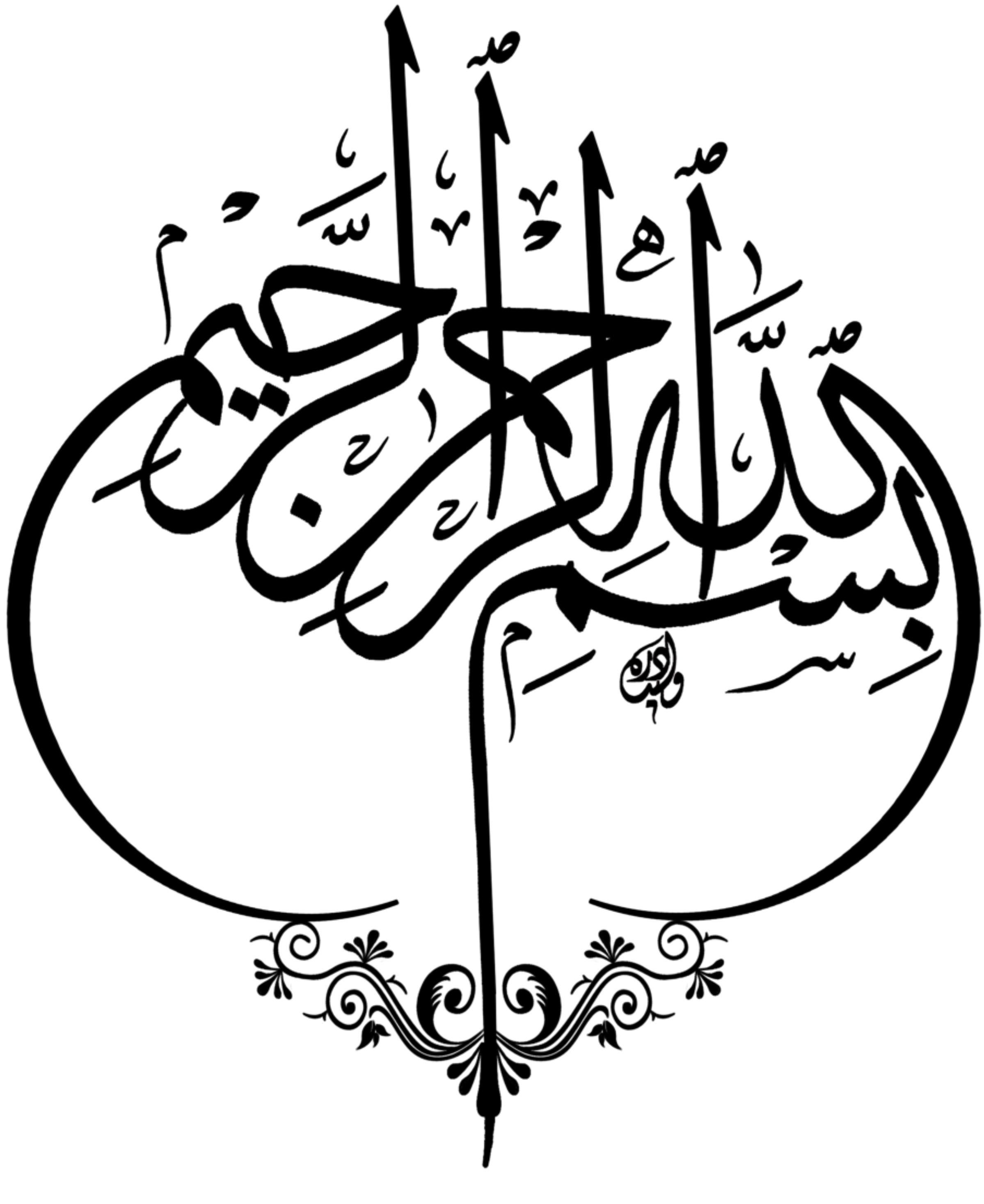
تذكير الأحرار بما للوطء من أسرار

البراء بن محمد

النسخة الثانية

1443هـ - 2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الإمام الغزالي رحمه الله،
والإمام الفخر الرازي رحمه الله،
والإمام ابن القيم رحمه الله،
والإمام السيوطي رحمه الله،
وسائر أئمة المسلمين من قبل ومن بعد،
عسى الله أن يجمعنا بهم في الجنان.

إلى كل عازب اكتوى بنار العزوبة،
وواضع الشيء في غير موضعه،
عسى أن يوفقنا الله وإياهم إلى تذوق اللذة الحلال.

إلى كل امرأة انشغلت عن فطرة الوطء
عسى أن يعينها الله على استغلال أعظم الموارد.

إلى كل من وفقه الله للزواج،
عسى أن يجدد شكر هذه النعمة العظيمة.

مقدمة

الحمد لله الذي جمع الرجال بالنساء، فأودع في الرجال نطفًا تستقر في أرحام النساء، ويتولد منها أشرف الأنواع وأكمل الأجناس، ليطول بقاؤه بالغذاء، ويدوم نسله بالنكاح.

والصلاة والسلام على نبيه الكريم وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فهذه رسالة شريفة صنفتها في أسرار الوطء وسميتها (تذكير الأحرار بما للوطء من أسرار). وسبب هذه الرسالة هو أنني طالعًا قدرًا من نصوص الشرع والعلماء وغيرهم ولم يتفق لي أن أحسن استثمار هذه النصوص، ولا استنباط الأسرار منها. فأحببت أن أضع هذه الرسالة ليستفيد منها القارئ علمًا وعملًا، فيجدد شكره لنعم الله عز وجل، ويطلبها بالحلال، ويستفيد مما كتبه العلماء السابقون، ويتوخى ما في كتب بعض المعاصرين من متابعة الغربيين والفرح بما عندهم من العلم.

على أن الوطء بحر عباب لا يستقل أمثالي باقتحامه. غير أنني لما انتفعت بما كتبه السابقون، وجدت أن تمام النفع حاصلٌ بذكر نصوص لم يذكروها، وقصص لم يتواردوا عليها، وغير ذلك مما يجده قارئ الكتاب فيه.

هذا و"لم أقصد به إعانة المتمتع الذي يرتكب المعاصي ويستحل ما حرم الله تعالى بل قصدت إعانة من قصرت شهوته عن بلوغ أمنيته في الحلال الذي هو سبب لعمارة الدنيا بكثرة النسل"[1]

[1] (رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه، ابن كمال باشا، ط1، ص1).

والنسخة الثانية التي بين يديك ناسخةٌ للنسخة الأولى لفظًا ومعنى. فأحض من قرأ الأولى ألا يزهد بهذه النسخة. إذ فيها زيادات كثيرة، وتحريرات دقيقة، ونقول رائقة يحسن الوقوف عليها. ولولا أن الأولى أصلٌ للثانية لجزمت أنني ما صنفت شيئًا. فالحمد لله على توفيقه وتيسيره. على أنني لمّا أستوفِ نهمتي من التحرير والتحقيق، إذ العلم كثير، والطلب ضعيف. وحسبي من ذلك الإشارة، ومن الله التوفيق والإعانة.

وليعلم القارئ أنني كررت شيئًا من الأدلة والمعلومات لمناسبة المقام، فلا يستثقلن التكرار إذ فيه فائدة كبرى ومزيد نظر.

و"حسبي بعلمي إن نفع"، والله المستعان وعليه التكلان.

والحمد لله رب العالمين.

البراء بن محمد

1443هـ - 2021م[2]

[2] وقع الفراغ من النسخة الأولى في عام 1441هـ في آخر يوم من عام 2019م.

ما الذي يمنعك من الوطء الحلال؟



استهلال

قال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهم﴾ [البقرة/223].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبدالله رضي الله عنه: ((هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟)) [رواه البخاري].

قال ابن الجوزي: "أعظم لذات الحس الوطء".

وقال هكسلي: "المثقف من وجد أمرًا أجلّ من الوطء".

أسرار الوطء

السر الأول

الوطء أجل الشهوات

الوطء أجل شهوات الحس وأقواها. قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...﴾ [آل عمران/14][3] فقدّم النساء على سائر شهوات الدنيا. وعلى ذلك جرى المفسرون.

قال السمرقندي: "فقال: زين للناس حب الشهوات مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ بدأ بالنساء، لأن فتنة النساء أشد من فتنة جميع الأشياء.

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((**ما تركت لأمتي فتنة أشد من فتنة النساء**))، ولأن النساء فتنتهن ظاهرة من وقت آدم- عليه السلام- إلى يومنا هذا". انتهى.

وقال الفخر الرازي: "وإنما قدمهن على الكل لأن الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولذلك قال تعالى: ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ ومما يؤكد ذلك أن العشق الشديد المفلق المهلك لا يتفق إلا في هذا النوع من الشهوة " انتهى.

---

[3] لم أطرّد في عزو الآيات إلى السور لكثرتها، كما أنني لم أتخذ الخط العثماني -على جلالته- تسهيلًا للكتابة، مستفيدًا ذلك من ويكي مصدر.
https://ar.wikisource.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%B1%D8%AF

وقال أبو حيان: "وبدأ في تفصيلها بالأهم فالأهم، بدأ بالنساء لأنهن حبائل الشيطان وأقرب وأكثر امتزاجا: ((**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**))، ((**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم منكن**))" انتهى.

وقال ابن كثير: " فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه، عليه السلام، قال: ((**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**)). فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه، ((**وإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء**)) وقوله عليه السلام: ((الدنيا متاع، **وخير متاعها المرأة الصالحة**، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله)) وقوله في الحديث الآخر: ((**حبب إلي النساء** والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**))** وقالت عائشة، رضي الله عنها: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء إلا الخيل، وفي رواية: من الخيل إلا النساء" انتهى.

وقال الطاهر بن عاشور: "وبيان الشهوات بـ ﴿النساء والبنين﴾ وما بعدهما، بيان بأصول الشهوات البشرية: التي تجمع مشتهيات كثيرة، والتي لا تختلف باختلاف الأمم والعصور والأقطار، فالميل إلى النساء مركوز في الطبع". انتهى.

وفي النصوص السابقة من الأحاديث الدالة على عِظم فتنة الرجال بالنساء، وأنهن من ألذ الشهوات المحبوبة. ولنتمم نقل الأحاديث بالنقل من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري.

قال الملا علي القاري: "(عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المرأة تقبل من الإقبال (في صورة شيطان وتدبر) من الإدبار (في صورة شيطان) شبهها بالشيطان في صفة الوسوسة والإضلال فإن رؤيتها من جميع الجهات داعية للفساد (إذا أحدكم) بالنصب على المختار ويجوز رفعه (أعجبته المرأة) أي إذا أعجبت أحدكم المرأة والفعل المذكور تفسيره والمعنى استحسنها لأن غاية رؤية المتعجب منه تعظيمه واستحسانه (فوقعت) أي محبتها أو شهوتها (في قلبه فليعمد) بكسر الميم أي ليقصد (إلى امرأته فليواقعها) أي ليجامعها (فإن ذلك) أي الجماع (يرد ما في نفسه) بمثناة تحتية من الرد قال صاحب النهاية بالموحدة أي برد من البرد ذكره السيوطي وقال ابن الملك - رحمه الله - قوله يرد بياء المضارعة من الرد وروي بالباء الموحدة على صيغة الماضي من التبريد والمشهور هو الرواية الأولى . (رواه مسلم) وكذا أحمد وأبو داود بلفظ إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه ، قال النووي - رحمه الله - : قال العلماء معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بما جعل الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والتلذذ بالنظر إليهن وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له ويستنبط من هذا أنه ينبغي إلا أن لا تخرج إلا لضرورة ولا تلبس ثيابا فاخرة ، وينبغي للرجل أن لا ينظر إليها ولا إلى ثيابها وفيه أنه لا بأس بالرجل أن يطلب امرأته إلى الوقاع في النهار وإن كانت مشتغلة بما يمكن تركه لأنه ربما غلبت على الرجل شهوته فيتضرر بالتأخير في بدنه أو قلبه"[4]. إلى آخر ما نقله عن الإمام النووي.

[4] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، دار الكتب العلمية، ط1 1422هـ-2001م الجزء السادس، ص254).

وقال بعد قليل: "(عن ابن مسعود قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فأعجبته فأتى سودة) أي بيتها (وهي تصنع طيبا وعندها نساء) جملتان حاليتان (فأخلينه) أي انفردن عنه (قضى حاجته) أي من الجماع (ثم قال أيما رجل رأى امرأة تعجبه فليقم إلى أهله) أي فليجامع امرأته ليكسر شهوته ويذهب وسوسته (فإن معها) أي مع امرأته (مثل الذي معها) أي فرجا مثل فرجها ويسد مسدها قال الطيبي : يريد أن **غاية ذلك النظرهذا الفعل** ولكن التفاوت أن في تلك الغاية سخطا من الله وهذه بخلافه وكانت تلك الفعلة بمحضر من النساء إرشادا لهن ولأزواجهن إلى ما ينبغي أن يفعل"

وقال أيضًا: "(عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المرأة عورة فإذا خرجت) أي من خدرها (استشرفها الشيطان) أي زينها في نظر الرجال وقيل : أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها والأصل في الاستشراف رفع البصر للنظر إلى الشيء"

ولنذيل السر بذكر شيء من أقوال العلماء في شهوة الوطء.

قال ابن الجوزي: "فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح" ، "وانظر إلى أكبر شهوات الحس، وهو الوطء"[5]، "إن أعظم لذات الحس الوطء".

وقال الرازي: "ألذ المحسوسات هو المنكوحات والمطعومات"[6]

وقال التيجاني: "التلذذ بالنساء أعظم اللذات"[7]

---

[5] (صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، تحقيق: عبدالقادر عطا، ط1 1412هـ -1992م، ص423).
[6] (لباب الإشارات والتنبيهات، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1 1986م، ص182).
[7] (تحفة العروس ومتعة النفوس، محمد بن أحمد التيجاني، تحقيق: جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، ط1 1992م، ص24).

وقال ابن القيم: "والجماع أكبر لذات النفس"[8].

وقال صاحب الروض العاطر: "الحمد لله الذي جعل اللذة الكبرى للرجال في فروج النساء وجعلها للنساء في أيور الرجال".

[8] (الكلام على مسألة السماع، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، ط1 1432هـ، ص68).

السر الثاني

سر النكاح

للنكاح -وسائر خلق الله- سرٌ -بل أسرارٌ- لا ينالها الإنسان بإدراكه الضعيف ولو جربه ألف مرة! وإنما يقف الناس على نزرٍ يسير يُشهدهم على كمال ربوبية الله -عز وجل- وقدرته وقيوميته. ولعلي أجتهد في معرفة شيءٍ من هذا النزر اليسير من أسرار النكاح، ومنها سر انجذاب الرجال إلى النساء على ما بينهما من التفاوت العظيم في الهيئة والعقل والوجدان.

فأقول وبالله التوفيق: قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ وقال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴿٢٠﴾ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٢١﴾﴾.

قال الواحدي في البسيط: "وقوله تعالى: ﴿ليسكن إليها﴾. قال ابن عباس: يريد ليأنس بها ويأوي إليها. قال أهل المعاني: والحكمة في أن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم هو أن يكون آدم إليها أميل، ولها آلف وأحب؛ إذ الشكل إلى شكله أحب، ولذلك كانت الأشياء تحن إلى أشكالها، وتهرب من أضدادها" وقال في تفسير الآية الثانية: "قوله تعالى: ﴿أن خلق لكم من أنفسكم﴾ قال الكلبي: يقول: جعل لكم من خلقكم آدميا مثلكم، ولم يجعله من الجن ولا من غيره. وقال غيره: يعني خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم. حكاه الزجاج، وهو قول قتادة. وذكر غيره أن معنى ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾: أنه خلق النساء من نطف الرجال".

قلت: لعل ما نجده من الشوق للنكاح، والانجذاب للاتصال بالنساء، والعكس، إنما هو شيءٌ من شوق أبينا آدم -عليه السلام- لأمنا حواء -عليها السلام-. ففي الحديث أن آدم عليه السلام ((جحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته)) [الترمذي]. فإن كنا ورثنا من آدم عليه السلام الجحود والنسيان، فلأن نرث من صفاته الأخرى -عليه السلام- أولى وأحرى.

بل الناس ورثت من ابن آدم الأول قتل النفس ظلمًا وعدوانًا. وفي البخاري: "عن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ليس من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها)). وربما قال سفيان: من دمها؛ لأنه أول من سن القتل أولًا".

فلأن ترث النفوس حب النساء والشوق إليهن أولى.

وانظر مزيدًا من الآيات والآثار في شوق آدم -عليه السلام-، وخلق حواء -عليها السلام- منه في الملحق السابع.

وجملة القول أن سر النكاح هو سر الأنوثة، فالنكاح نكاح لأن الأنثى أنثى. أي: لأنها مخلوقة خلقةً تدعو للنكاح ومقدماته. وما اشتهى الإنسان شيئًا غير المرأة إلا لأن ذلك يذكره بالنساء وشهوتهن.

قال ابن عمر في الاستمناء: "ذلك نائك نفسه" [عبدالرزاق].

وفي مساوئ الأخلاق للخرائطي: "عن عمرو بن قتادة قال: سئل عطاء عن إتيان النساء في أدبارهن فقال: تلك كفر ما بدأ قوم لوط إلا ذلك أتوا النساء في أدبارهن ثم أتى الرجال الرجال"[9].

---

[9] (مساوئ الأخلاق ومذمومها، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، تحقيق: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، ط1 1412هـ-1992م، ص204).

واعلم أن قبح فعل قوم لوط إنما هو لعدة مفاسد في الدين والدنيا، ومنها إزالة شعار الرجولة. إذ الوطء يختص بالنساء فيزيدهن جمالًا وتأنثًا وروعة، فإن خرج عن غيرهن أفضى إلى الفساد العريض.

"إذا كان الفتى حسنًا جميلًا *** وكان مخنثًا فسد الجمال"

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ معددًا موجبات قبح عمل قوم لوط: "والوجه الرابع: هب أن الفاعل يلتذ بذلك العمل، إلا أنه يبقى في إيجاب العار العظيم والعيب الكامل بالمفعول على وجه لا يزول ذلك العيب عنه أبد الدهر، والعاقل لا يرضى لأجل لذة خسيسة منقضية في الحال إيجاب العيب الدائم الباقي بالغير. والوجه الخامس: أنه عمل يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول، وربما يؤدي ذلك إلى إقدام المفعول على قتل الفاعل لأجل أنه ينفر طبعه عند رؤيته، أو على إيجاب إنكائه بكل طريق يقدر عليه. **أما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فإنه يوجب استحكام الألفة والمودة وحصول المصالح الكبيرة**، كما قال تعالى: ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾" انتهى.

وقال ابن تيمية: "وكيف يجوز للمرأة أن تتزوج بمخنث قد انتقلت شهوته إلى دبره؟ فهو يؤتى كما تؤتى المرأة"[10] انتهى.

[10] (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المجلد الخامس عشر، 1425هـ-2004م، ص322).

وقال ثيودور رايك: "ويعرف أي سيكولوجي كثيراً من الحالات التي يمضي فيها رجل إلى الفراش مع رجل آخر دون أي اهتمام سوى الاهتمام الجنسي، الذي يتلاشى مباشرة مع إزالة التوتر الفيزيائي، مخلفاً مكانه النفور والاشمئزاز واللامبالاة في معظم الحالات"[11] انتهى.

وقال بعد قليل: "أما في حقل الاستيهام فالرجل لا يمضي إلى الفراش أبداً مع رجل آخر ولا المرأة مع امرأة أخرى. ذلك أن أحد الرجلين يلعب دور المرأة والعكس بالعكس. وبالطبع فإن تبادل الأدوار ممكن ومعتاد، ولكن يبقى هنالك على الدوام -- بصورة واعية أو لا واعية -- شخصان من جنسين مختلفين حاضرين في الاستيهام"[12] انتهى.

فجملة قول رايك هو أن نكاح الرجال الرجال إنما هو في باطنه رجلٌ ينكح امرأة يتصورها ويتخيلها. وكذا عند النساء. وتظل هذه الصورة منتقشة في الذهن كلما جرى فعل النكاح.

ولعل ما قيل في سر النكاح، يقال في سر قبح نكاح المحارم -عافانا الله والمسلمين- إذ قبح ذلك أن الواحد من الرجال يلتفت إلى محاسن أمه وأخته وقريباته، ويرى أنوثتهن، فيشتهيهن، وتفسد علاقته بهن لذلك. ونفس هذا الرجل يشتهي غيرهن ممن هنّ أمهات أقوامٍ وأخواتهم وعماتهم. ولا يجترئ على اشتهاء محارمه إلا مع تبدّل الفطرة -عياذًا بالله- وانقلاب القبيح حسنًا. لذا اتفقت الأمم على قبحه وذم فاعله فهو أمرٌ مركوز في الفطرة.

---

11 (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص68).
12 (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص69).

وقد خفي هذا الوجه -مع ظهوره- على بعضهم. فقال العز بن عبدالسلام: "وكذلك في نكاح المحارم مفسدة لم أقف عليها، لأن قضاء الأوطار بر وإحسان موجبٌ للمودة والرحمة، فهلّا جاز مع الأقارب لما فيه من برهن وقضاء أوطارهن – كما جاز في بنات الأعمام والعمات والأخوال والخالات – وقد جاز نكاح الأخوات في زمن آدم عليه السلام للاضطرار إليه وتعذر الانفكاك عنه. والنفرة التي نجدها إنما هي من اشتهار تحريمهن، كما أننا ننفر من الخمر نفرة شرعية غالبة على الشهوة الطبيعية"[13]. انتهى.

وظاهرٌ ما في قوله -رحمه الله- من المغالطة. إذ الناس -مسلمهم وكافرهم إلا من شذ- يجدون في أنفسهم نفرة طبيعية عن ذلك، ولا يتصورونه ولا يخطر ببالهم الإقدام عليه مع تمكنهم. فهل تلك نفرة شرعية؟

لذا قال النفساني الكافر ثيودور رايك: "فحقيقة أن امرأة ما قد تذكر المرء بأمه أو بأخته غالباً ما يكون لها تأثير مانع أو كاف على القدرة الجنسية".

وقال بعدها بقليل: "وفي كثير من الحالات يفرق الرجال بصورة لا واعية بين نساء للاحترام ونساء للشهوة lust، بين اللواتي يمكن تخيلهن في الفراش واللواتي لا يمكن التفكير بهن أبداً بهذه الطريقة"[14] انتهى.

فالحاصل أن **مجرد** تصور الأنثى كافٍ لحث النفس على النكاح.

---

[13] (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، تحقيق: نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، دار القلم، ط1 1421هـ-2001م، الجزء الأول، ص293).
[14] (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص44).

السر الثالث

الوطء في نصوص الشرع

كثر ورود الوطء في نصوص الشرع[15] ، وقد اجتهد الثعالبي في تضمين طائفة منها في قوله: "لا أحسن، ولا أجل، ولا ألطف من كناية الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾، وقوله عز ذكره: ﴿فلما تغشاها﴾، وقوله: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾، وقوله: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾، وقوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾[16]، وقوله: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ وقوله في الكناية عن طلب ذلك حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾"[17] ويُضاف إلى ما سبق قوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم/21]، والمودة "الجماع" كما فسرها الحسن. وسيأتي مورده لاحقًا. وقوله تعالى: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ [البقرة/222]، وقوله جل وعلا: ﴿فلما قضى زيد منها وطرًا﴾ [الأحزاب/37]، وقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [البقرة/222]، والآيات الواردة في المس كقوله تعالى: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ [البقرة/236]، وقوله: ﴿وإن طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن﴾ [البقرة/237]، وقوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾ [النساء/43] على الخلاف المشهور في تفسير الملامسة بالجماع أو المس الحسي. وقول مريم عليها السلام فيما يحكيه الله تعالى عنها: ﴿ولم يمسسني بشر﴾ [آل عمران/47].

---

15 اجتهد صاحب كتاب (المواقف الجنسية في القرآن) في جمع الآيات التي تشير إلى الوطء مع ذكر بعض تفاسيرها. وقد استفدت منه فارجع إليه.

16 قال الفخر الرازي: "ففرج المرأة كالأرض ، والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات الخارج ، والحرث مصدر ، ولهذا وحد الحرث فكان المعنى نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون للولد".

17 (الكناية والتعريض، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء، ط 1998م، ص29).

وأما أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فمنها:

((إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها[18] فقد وجب الغسل)) [البخاري][19]

((أما إن أحدكم إذا **أتى** أهله وقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولدًا لم يضره الشيطان)) [البخاري]

((حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)) [البخاري ومسلم]

((إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل **يفضي** إلى امرأته و**تفضي** إليه ثم ينشر سرها)) [مسلم]

وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لمن اعترف له بالزنا: ((أنكتها؟)) [البخاري وأبو داود وابن حبان].

وربما تسارع بعض الجهال لإنكار الحديث لشدة وقع التصريح النبوي الشريف عليهم.

وروي عنه صلى الله عليه وسلم: ((إذا **غشي** الرجل أهله فليصدقها، فإن قضى حاجته، ولم تقض حاجتها فلا يعجلها)) [عبدالرزاق، وضعفه بعضهم][20]

قال المناوي في فيض القدير: "أي فليجامعها بشدة وقوة وحسن فعل ووداد ونصح".

وقال عليه الصلاة والسلام: ((لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم)) [مسلم][21]

---

[18] قال ابن حجر في فتح الباري: "قوله: (ثم جهدها) بفتح الجيم والهاء يقال جهد وأجهد أي بلغ المشقة ، قيل معناه كدها بحركته أو بلغ جهده في العمل بها ولمسلم من طريق شعبة عن قتادة " ثم اجتهد " ورواه أبو داود من طريق شعبة وهشام معا عن قتادة بلفظ " وألزق الختان بالختان " بدل قوله ثم جهدها وهذا يدل على أن الجهد هنا كناية عن معالجة الإيلاج ورواه البيهقي من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة مختصرا ولفظه إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل".

[19] لا أعتني بذكر كل من خرج الحديث، فليس هذا مقامه.

[20] استفدته من صديقٍ فاضل أحالني على فيض القدير شرح الجامع الصغير

[21] قال النووي في شرح صحيح مسلم: "واختلف العلماء في المراد بالغيلة في هذا الحديث وهي الغيل ، فقال مالك في الموطأ والأصمعي وغيره من أهل اللغة : أن يجامع امرأته وهي مرضع . يقال منه : أغال الرجل وأغيل : إذا فعل ذلك وقال ابن السكيت : هو أن ترضع المرأة وهي حامل . يقال منه =

السر الرابع

أسماء الوطء في العربية

كثرت أسماء الوطء في العربية. قال السيوطي في الوشاح: "وقد ذكر الثعالبي في فقه اللغة : أنها تبلغ مائة اسم ؛ ما بين صريح ومكنى.

وعن ابن القطاع : أنها ألف اسم.

ولصاحب القاموس فيها تأليف مستقل، لم أقف عليه .

والذي وقع منها بعد تتبع كتب اللغة، نحو أربعمائة اسم"[22] انتهى.

وقال التيجاني صاحب تحفة العروس: "وكما أن أسماء النكاح تبلغ على ما ذكرنا مائة اسم"

ومن أسماء الوطء في كتاب السيوطي "الدغدغة". وأيضًا الزغْب "زغب المرأة جامعها : فملأها منيا".

أما "الجنس" فلا يدل على الوطء بل يدل على النوع. وإنما نشأت دلالته في عهد متأخرٍ تأثرًا بكلام الإنجليز كما في الملحق السادس.

ومنه اشتق مصطلح "ممارسة الجنس" والذي أخذ من قولهم "have sex". وقد أعرضت عنه لأصله الأعجمي.

وأظهر ألفاظ الوطء هو **النيك** ودلالته لا تخفى، وربما توهم العامة أنه لفظ عامي غير فصيح، ولكن ذلك باطل كما تبين مما تقدم في السر الثالث من حديث النبي صلى الله عليه وسلم. وقد

= غالت وأغيلت. قال العلماء : سبب همه صلى الله عليه وسلم بالنهي عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع . قالوا : والأطباء يقولون : إن ذلك اللبن داء والعرب تكرهه وتتقيه . وفي الحديث جواز الغيلة فإنه صلى الله عليه وسلم لم ينه عنها ، وبين سبب ترك النهي"

[22] (الوشاح في فوائد النكاح، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: طلعت حسن عبدالقوي، دار الكتاب العربي، ص91).

تمثل ابن عباس رضي الله عنه بقول الشاعر "إن تصدق الطير **ننك** لميسا"[23]. بل في مصنف عبدالرزاق عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عمن يستمني فقال: "ذلك نائك نفسه".

قال الواحدي في البسيط: "قال ابن عباس: إن الله حي كريم يكني، فما ذكر الله في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث فإنما يعنى به الجماع.

قال الزجاجي: قد تأملنا الألفاظ الواردة عن العرب، المستعملة في معنى الجماع، فما وجدنا فيها لفظة وضعت حقيقة في معنى الجماع حتى لا تستعمل في غيره، لكن الكلمة إذا كثر استعمالها في معنى ويكون موضوعها لمعنى آخر فإنها تصير حقيقة فيما استعملت فيه كثيرا، حتى إذا أطلق لم يعرف غير ذلك، كما تقول في المباضعة، فإن أصلها من البضع، وهو قطع اللحم، فإذا أطلق لم يعرف منه غير معنى الجماع، كما أن نفس قولنا: فرج كناية، فإذا أطلقوا الفرج لم يعرف منه غير هذا المعنى المقصود إليه.

وقالوا: باضعها كأنه باشر بضعها، ولم يقولوا: فارجها، وصارت المباضعة كالحقيقة في معنى الجماع؛ لأنهم لا يستعملونها في غيره، ألا ترى أنهم يقولون: غشيها وتغشاها، ووطئها وتوطاها، وقربها، وبطنها وتبطنها، وكل هذه الألفاظ موضوعة لغير هذا المعنى" انتهى.

ولصراحة دلالة لفظ النيك على الجماع، فهو من صريح القذف عند الفقهاء. وهو أشد ألفاظ الوقاع وطأة على السمع، وقد قيل لابن عباس عند استشهاده بذلك البيت: "أترفث وأنت محرم"؟

---

[23] (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين [عبدالرحمن بن أبي بكر] السيوطي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1 1424هـ-2003م، الجزء الثاني، ص385).

ولذلك استقبحه أكثر الناس.

قال الجاحظ: "وبعض من يظهر النسك والتقشف إذا ذُكر الحِر والأير والنيك تقزز وانقبض. وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من المعرفة والكرم، والنبل والوقار، إلا بقدر هذا التصنع"[24]. انتهى.

قال الفخر الرازي: "فقد جرت عادة السفهاء أن لا يشتم بعضهم بعضًا إلا بذكر ألفاظ الوقاع" [25]. انتهى. ومن ذلك لفظ النيك. وقد بلغ الحال بأحدهم أن سب الدهر بهذه اللفظة فقال: "يعاند الدهر كل ذي أدب *** كأنما ناك أمه الأدب".

ومن الطريف أن هذه اللفظة قد انتقلت إلى الفرنسية Niquer، وصارت من ألفاظ السباب فيها[26].

ومنه لفظ الوطء، ويشبهه لفظ الركوب والاعتلاء، ولهذه الألفاظ دلالة لطيفة على علو الرجل على المرأة علو ذات على ذات، وتدل على علو القهر والقدر بالتضمن. وسيأتي لاحقًا أن انقلاب جهة الوطء، وفوقية المرأة حال انفعالها بالوطء، لا يقدح في دلالة هذه الألفاظ على العلو.

ولفظ النكاح دال على الوطء وعقد النكاح، والعلماء مختلفون في دلالته الحقيقية عليهما أو على أحدهما دون الآخر[27]. وما زال الناس يفهمون من لفظ النكاح الوطء.

---

[24] (مفاخرة الجواري والغلمان - رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط 1384هـ - 1964م، الجزء الثاني، ص92).

[25] (النفس والروح وشرح قواهما، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: محمد صغير حسن المعصومي، معهد الأبحاث الإسلامية، 1364هـ، ص93-94).

[26] من شتائم الفرنسيين الشائعة: Nique ta mère وترجمتها الحرفية: أنيك أمك، وهو نفس الاستخدام الشائع في العربية. وانظر إن شئت https://fr.wiktionary.org/wiki/nique_ta_m%C3%A8re

[27] "النكاح، وهل هو حقيقة في الوطء، مجاز في العقد، أو عكسه، أو حقيقة فيهما؟ مذاهب؟" (الوشاح في فوائد النكاح، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: طلعت حسن عبدالقوي، دار الكتاب العربي، ص120). وهي مسألة مشهورة في أصول الفقه.

وللوطء أسماء أخرى يُرجع إليها في مظانها، ومنها (الوشاح في فوائد النكاح) لجلال الدين السيوطي.

لطيفة

ذكر الثعالبي جملة من أسماء وطء الحيوانات، فقال: "فصل في تقسيم النكاح نكح الإنسان كام الفرس بَاكَ الحمار قاعَ الجمل نزا التيس والسبع عاضل الكلب سفد الطائر قمط الديك"[28].

[28] (فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ضبط: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط2 1420هـ-2000م، ص208).

السر الخامس

الوطء آية من آيات الله

الوطء آية من آيات الله عز وجل، ودليل ربوبيته تعالى.

فالوطء مما هدى الله عز وجل إليه مخلوقاته. قال تعالى: ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾، ونقل الطبري عن ابن عباس قوله: "خلق لكل شيء زوجة، ثم هداه **لمنكحه** ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده".

قال تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾، قال البغوي: "وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه، "فهدى" عرّفها كيف يأتي الذكر الأنثى". انتهى. ونسبه الماوردي إلى السدي.

وانبثاق الحياة من التقاء الحيوانات المنوية بالبويضة الأنثوية هو **الانفجار الكبير حقًا**. إذ كيف لماء مهين[29] يبثه الرجال في أرحام النساء أن يصير إنسانًا قائمًا يمشي على رجليه؟ ولكنه خلق الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ۝ من نطفة إذا تمنى﴾ [النجم/45-46]

قال الفخر الرازي: "وقوله تعالى (من نطفة) تنبيه على كمال القدرة لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء ، ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة وخلق (الذكر والأنثى) منها أعجب ما يكون على ما بينا"[30].

---

[29] قال تعالى: ((ثم جعل نسله من ماء مهين)) [السجدة/8]، وقال سبحانه: ((ألم نخلقكم من ماء مهين)) [المرسلات/20].، وقال عز من قائل: ((كلا إنا خلقناهم مما يعلمون)) [المعارج/39].

[30] (مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الفكر، ط1 1401هـ-1981م، الجزء التاسع والعشرون، ص22).

وقال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم/21].

والمعنى ظاهر، إلا أننا ننشغل بذكر بعض لطائف مما ذكرها المتأخرون من المفسرين.

قال الصاوي في حاشيته على الجلالين: "قوله: {لقوم يتفكرون﴾ أي يتأملون في تلك الأشياء، ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان، سيما إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة، ثم جعله بشراً سوياً، ثم جعل له زوجة من جنسه، ولم تكن جنية ولا بهيمية، وأسكن بينهما المحبة والشفقة، فإذا أراد جماعها زينها له، وجعل بينهما اللذة، فإذا نزلت النطفة منه، جعلها راحة له، وخلق منها بشراً سوياً، وغير ذلك من أنواع التفكرات، فإذا تأمل الانسان في ذلك، كان سبباً في زيادة معارفه وأدبه مع ربه، ولذا قال بعض العارفين: لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى، ومنه ما روي: ((حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة))"[31] انتهى.

قال الطاهر بن عاشور: " "هذه آية ثانية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ.

وهي آية تنطوي على عدة آيات منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف

[31] (حاشية الصاوي على الجلالين، أحمد بن محمد الصاوي، دار الجيل، الجزء الثالث، ص230-231).

آخر لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين ولم يجعله تزاوجا عنيفا أو مهلكا كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة فالزوجان يكونان من قبل التزواج متجاهلين فيصبحان بعد التزواج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة في قوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ " انتهى.

وقال الطبطبائي -وهو من الشيعة- في الميزان: "فقوله: ﴿أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾ أي خلق لأجلكم - أو لنفعكم - من جنسكم قرائن وذلك أن كل واحد من الرجل والمرأة مجهز بجهاز التناسل تجهيزاً يتم فعله بمقارنة الآخر ويتم بمجموعهما أمر التوالد والتناسل فكل واحد منهما ناقص في نفسه مفتقر إلى الآخر ويحصل من المجموع واحد تام له أن يلد وينسل، ولهذا النقص والافتقار يتحرك الواحد منهما إلى الآخر حتى إذا اتصل به سكن إليه لأن كل ناقص مشتاق إلى كماله وكل مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره وهذا هو الشبق المودع في كل من هذين القرينين.

وقوله: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ المودة كأنها الحب الظاهر أثره في مقام العمل فنسبة المودة إلى الحب كنسبة الخضوع الظاهر أثره في مقام العمل إلى الخشوع الذي هو نوع تأثر نفساني عن العظمة والكبرياء.

والرحمة نوع تأثر نفساني عن مشاهدة حرمان المحروم عن الكمال وحاجته إلى رفع نقيصته يدعو الراحم إلى إنجائه من الحرمان ورفع نقصه.

ومن أجل موارد المودة والرحمة المجتمع المنزلي فإن الزوجين يتلازمان بالمودة والمحبة وهما معاً وخاصة الزوجة يرحمان الصغار من الأولاد لما يريان ضعفهم وعجزهم عن القيام بواجب العمل لرفع الحوائج الحيوية فيقومان بواجب العمل في حفظهم وحراستهم وتغذيتهم وكسوتهم وإيوائهم وتربيتهم ولولا هذه الرحمة لانقطع النسل ولم يعش النوع قط.

ونظير هذه المودة والرحمة مشهود في المجتمع الكبير المدني بين أفراد المجتمع فالواحد منهم يأنس بغيره بالمودة ويرحم المساكين والعجزة والضعفاء الذين لا يستطيعون القيام بواجبات الحياة.

والمراد بالمودة والرحمة في الآية الأوليان على ما يعطيه مناسبة السياق أو الاخيراتان على ما يعطيه إطلاق الآية.

وقوله: ﴿لآيات لقوم يتفكرون﴾ لأنهم إذا تفكروا في الأُصول التكوينية التي يبعث الإنسان إلى عقد المجتمع من الذكورة والأُنوثة الداعيتين إلى الاجتماع المنزلي والمودة والرحمة الباعثتين على الاجتماع المدني ثم ما يترتب على هذا الاجتماع من بقاء النوع واستكمال الإنسان في حياتيه الدنيا والاخرى عثروا من عجائب الآيات الإلهية في تدبير أمر هذا النوع على ما يبهر به عقولهم وتدهش به أحلامهم"[32] انتهى.

---

[32] (الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط1 1417هـ-1997م، الجزء السادس عشر، ص171-172).

السر السادس

في تركيب آلات النكاح

هيئة آلات الوطء عجيبة تشهد بحكمة خالقها سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم: "فانظر كيف جُعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى على وفق الحكمة.

فجُعلت في حق الذكر آلة ناشزة تمتد حتى توصل المني إلى قعر الرحم، بمنزلة من يناول غيره شيئًا فهو يمد يده إليه حتى يوصله إياه، ولأنه يحتاج أن يقذف ماءه في قعر الرحم.

وأما الأنثى فجُعل لها وعاءٌ مجوف؛ لأنها تحتاج إلى أن تقبل ماء الرجل وتمسكه وتشتمل عليه؛ فأُعطيت آلة تليق بها.

ثم لما كان ماء الرجل ينحدر من أجزاء الجسد رقيقًا ضعيفًا لا يُخلق منه الولد، جُعل له الأنثيان وعاءً يُطبخ فيهما، ويُحكَمُ إنضاجه؛ فيشتد وينعقد ويصير قابلًا لأن يكون مبدأً للتخليق، ولم تحتج المرأة إلى ذلك؛ لأن رقة مائها ولطافته إذا مازج غِلظَ ماء الرجل وشدته قَوِيَ به واستحكم، ولو كان الماآن رقيقين ضعيفين لم يتكون الولد منهما"[33] انتهى.

وقد تقدم قول الطبطبائي: "كل واحد من الرجل والمرأة مجهز بجهاز التناسل تجهيزاً يتم فعله بمقارنة الآخر ويتم بمجموعهما أمر التوالد والتناسل فكل واحد منهما ناقص في نفسه مفتقر إلى الآخر ويحصل من المجموع واحد تام له أن يلد وينسل، ولهذا النقص والافتقار يتحرك الواحد

---

[33] (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، ط1 1432هـ، المجلد الأول، ص739-740)

منهما إلى الآخر حتى إذا اتصل به سكن إليه لأن كل ناقص مشتاق إلى كماله وكل مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره وهذا هو الشبق المودع في كل من هذين القرينين" انتهى.

قلت: فتعطيل المرأة عن الوطء، يبطل حكمة الله -تعالى- في خلق الفرج والرحم والثديين وسائر المحاسن، وإنما حسن جسد المرأة لإمكان وطئها، فإن تعذر الوطء، عَرِي الجسد عن المحاسن والمنافع.

السر السابع

تذكير الغواني بما للوطء من المعاني

تذكير الغواني بما للوطء من المعاني:

الأول: الحب.

قال أبو نواس: "لا يشتفي العاشق من عشقه   بالبوس والتعنيق حتى ينيك".

الثاني: القوة والغلبة.

قال ابن سيرين: "ألذ الجماع أفحشه"[34]

وقال أبو نواس: "ألذ النيك ما كان اغتصابًا"[35]

وقال الفخر الرازي: "الوطء يوجب الذل الشديد"[36].

ولا ريب أن قوة النكاح تروض الأنثى في الفراش.

الثالث: الجمال والفن. وأجمل ما في المرأة بقعة ضيقة يشتهي الرجل أن ينيخ فيها أمتعته.

الرابع: التعاون.

قال ابن القيم: "وجعل هذا محل الحرث، وهذا محل البذر، وقال القضاء والقدر: ليشتمل كل منكما على صاحبه؛ ليلتقي الماءان على أمر قد قدر"[37]

---

[34] (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار الحياة، الجزء الثالث، ص266).

[35] لا يظهر لي -والله أعلم- أن مقصود أبا نواس الحض على الوطء بالإكراه، فهو يقول في البيت كاملًا: "ألذ النيك ما كان اغتصابًا *** بمنع الحب أو منع الرقيب". وهذا يدل على أن مقصوده بالاغتصاب معنى أجل وأكمل من الإكراه. ولعله يقصد انتزاع المرأة ممن يراقبهما، والاختلاء بها. والله أعلم.

[36] (مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الفكر، ط1 1401هـ-1981م، الجزء العشرون، ص199-200).

[37] (التبيان في أيمان القرآن، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، ط1 1429هـ، ص474-475).

الخامس: العلو والدنو.

فالفعل أبدًا فعل الذكور والانفعال أبدًا انفعال الإناث. كما قال الفخر الرازي "الذكورة مظنة الفعل والأنوثة مظنة الانفعال"[38]. وما زال الناس ينسبون فعل النكاح إلى الذكور لما معهم من الآلة، وإنما ينسبونه مجازًا للأنثى تشبيهًا لها بالذكور.

وقد وهم ابن القيم بظنه أن اعتلاء المرأة الرجل أثناء الوطء يصيرها فاعلة. وغاية الأمر أنها إنما وطئت في جهة العلو كما في الملحق الأول.

السادس: الشبع والراحة.

قال أبو المظفر عبدالجبار: "أشتهي نوماً ونيكاً معه   إنما النيك مع النوم يطيب"[39]

السابع: الأمن إلى الزوج والطمأنينة به.

الثامن: اللذة.

وقد حكوا "أن امرأة قالت لذة الجماع وطعمه لنا لأن الرجل[40] لا ينالون منه إلا اليسير، كما أن الإصبع إذا تلوث بالعسل فلعق كان حلاوته للفم لا للأصابع . فكذلك لذة الجماع والطعم لنا دون الرجال"[41]. وتشبيهها من زخرف القول؛ إذ حصر اللذة في مجرد التذوق خطأ ظاهر. فلذة الرجل في إيصال الماء وسقي الأرض به، وجهده في حراثة المحل القابل. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((حتى

---

[38] (مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الفكر، الجزء الرابع عشر، ص176).
[39] (نواضر الأيك في معرفة النيك، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: طلعت حسن عبدالقوي، دار الكتاب العربي، ص83).
[40] كذا في الأصل وصوابها: الرجال
[41] (زهر الربيع، نعمة الله الجزائري، ط1 1421هـ-2000م، ص629).

تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)) دليل على اقتسام اللذة بينهما. لذا قال الملا علي القاري: "حتى تجدي منه لذة ويجد منك لذة بتغيب الحشفة"[42]

التاسع: تحطيم الحواجز.

العاشر: انبلاج الفجر، وإيلاج النهار في الليل، واستيلاء النور على الظلام.

الحادي عشر: إخراج الحي من الميت.

الثاني عشر: الزينة الكبرى.

وأي زينة أكبر وأحلى من الوطء الذي هو نهاية الزينة وغاية التحلي وكمال الجمال؟

قال أحمد شوقي: "جمعت الطبيعة عبقريتها فكانت الجمال، وكان أحسنه وأشرفه ما حل في الهيكل الآدمي، وجاور العقل الشريف والنفس اللطيفة والحياة الشاعرة؛ فالجمال البشري سيد الجمال كله"[43]، ولما ثبت أن جمال المرأة يدعو لنكاحها، وأن النكاح مقصود بالذات، كان جمال الوطء مستوليًا على كل جمال اشتملت عليه الأنثى.

الثالث عشر: الصيد.

الرابع عشر: سلب العقل والفكر.

الخامس عشر: طلب الرزق.

قال تعالى: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾.

---

[42] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان بن محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، ط1 1422هـ-2001م، ج6، ص404).

[43] (أسواق الذهب، أحمد شوقي، مطبعة الهلال، ط 1932م، ص104).

قال مكي بن أبي طالب: "قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدي والربيع والضحاك:

﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾: هو الولد"

السادس عشر: الإيداع والاستقرار.

قال تعالى: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾.

السابع عشر: إرواء الغليل.

الثامن عشر: عمارة الأرض.

التاسع عشر: البر والإحسان.

قال العز بن عبدالسلام: "لأن قضاء الأوطار بر وإحسان موجبٌ للمودة والرحمة"

وللوطء معانٍ أخرى، أترك استنباطها لمن يقرأ الكتاب.

السر الثامن

الوطء ضرورة شرعية واجتماعية

لا ريب أن الواحد منا مضطرٌ للوطء تحصيلًا للذته، ودفع مضرة تركه. فإذا ضممت الواحد إلى الواحد حصل مجموعٌ مفتقرٌ إلى دوام الوطء، وذلك حفظًا لنظام العالم، وإبقاءً لنوع الإنسان الشريف. ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾.

ومن اختلال نظام العالم، اختلاف الناس وتنازعهم في الوطء.

قال الغزالي في جواهر القرآن: "فقد خلق الغذاء سبباً للحياة، وخلق الإناث محلاً للحراثة ، إلا إنه ليس يختص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين بحكم الفطرة ، ولو ترك الأمر فيه مهملاً من غير تعريف قانون في الاختصاصات لتهاونوا وتقاتلوا".

وقال ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة: "وفي مزاحمة الناس على موطوءة تغيير الجبلة الإنسانية، وهي مظنة المقاتلات والمحاربات بينهم".

﴿يا أيها الناس إنما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾. ومرجع سبل التعارف والتآلف والتواد إلى الوطء. فبه قامت الأسر، ومنه نشأت العشائر. فتألفت قبائل شتى، وامتزجت فكانت أممًا كبرى.

وفناء الناس بفناء الوطء ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾.

ويبقى الذكر الحسن ما بقي وطءٌ ((أو ولد صالح يدعو له)).

وما أبقى الله عز وجل الحق في الناس، إلا بأسباب شتى منها الوطء. ﴿ذرية بعضها من بعض﴾. ((تزوجوا الودود الولود فإني مكاثرٌ بكم الأمم)).

ولنختم بوجهٍ كلي، فنقول: أكثر ما في الكون يدعو الإنسان للوطء والتكاثر، فالحيوانات العجماء تتكاثر، وسيد الكائنات الذي أكرمه الله بتسخيرها أولى منها بالتكاثر. وفي إخراج النبات بنزول ماء السحاب الآتي من الأرض ما يشبه النكاح. قال الفخر الرازي: "واعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الأرض والسماء بين ما بينهما من شبه عقد النكاح بإنزال الماء من السماء على الأرض والإخراج به من بطنها أشباه النسل الحاصل من الحيوان". انتهى. وفي صناعات الإنسان ما يدعوه للوطء، ولنمثل على كل صناعة بما يناسبها. فأشرف صناعات الإنسان اشتغاله بعلوم الشرع، والشرع يدعو المسلم لتكثير عباد الله. ومن أشرف صناعات الإنسان في الدنيا الطب، وفيها صيانة الإنسان من الآفات والأمراض، وأشرف منها صيانة الجنس البشري من الانقراض، وذلك لا يحصل بغير الوطء. ومن شريف صناعات الإنسان الهندسة وما اتصل بها من فنون، ولا شك أن عمارة أرحام النساء بمياه الرجال من أشرف فنون الهندسة. وأما الحكام والملوك، فمن عزّهم الظاهر كثرة الأتباع، ولا يكون ذلك بغير الوطء. وأما القضاة والمحامون، فهم يقيمون العدل، ويدفعون عن الحق، ومن حكم القضاة بالعدل، ودفاع المحامين عن الحق، أن يجتهدوا في الإتيان بمن يعقبهم في ذلك لئلا يستطيل أهل الفساد والشر، وما ذلك إلا بالوطء. وأما الشعراء والأدباء، فلا ريب أن أكثر أقوالهم إنما هي في النساء، وخيالاتهم في أبضاعهن وأجسادهن تهيجهم على حسن القول، والتشبيه الجميل، والتصوير الدقيق، فكيف بالمباضعة نفسها؟! أما المشتغلون بالتعليم والتربية، فهم

يعلمون أن تربية النطفة في أرحام النساء من أجل أنواع التربية. وليعلم الجنود والعساكر أن من أعظم المغازي والمعارك معركةٌ يحصل فيها خروج الإنسان من ظلمات العدم إلى أنوار الوجود. وبالجملة، فأكثر ما في الحياة الدنيا يبعث العاقل على النكاح.

السر التاسع

عناية الشريعة بالوطء

كرّم الله الإنسان بإباحة الوطء، والأمر به، فهو من حقوق الإنسان في دين الرحمن[44]. قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ [النساء/3]. والأمر[45] بالنكاح يستلزم الأمر بالوطء. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من استطاع منكم الباءة فليتزوج)) [البخاري ومسلم].

وقد اعتنت الشريعة الإسلامية عناية بالغة بالوطء حتى جعلت امتناع الزوجة عن الوطء سببًا موجبًا للّعنتها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح)) [البخاري]. بل وجعلت ذلك موجبًا لعقوبة الزوج إياها وزجرها بما تستحقه، قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾ [النساء/34]. والنشوز ارتفاع بغير الحق كما قال الطبري: "وأما قوله:"نشوزهن"، فإنه يعني: استعلاءهن على أزواجهن، وارتفاعهن عن فرشهم بالمعصية منهن، والخلاف عليهم فيما لزمهن طاعتهم فيه، بغضا منهن وإعراضا عنهم".

---

[44] قيدت حقوق الإنسان بدين الرحمن جل وعلا، إذ إطلاق لفظ "حقوق الإنسان" يوهم ما اصطلح الناس عليه بحقوق الإنسان، وهي من بدع الغربيين التي لا اعتبار بها إلا إن وافقت الشرع الحنيف.

[45] هذا مع قطع النظر عن دلالة الأمر [وليس البحث هنا عن كون هذا الأمر للوجوب أو الاستحباب أو الإباحة].

ومن عجيب أمر الوطء أن المرأة تنزل له فترتفع به، وترتفع عنه فيهبط بها. وعين العقل مخالفة الهوى ومتابعة الشرع الحنيف.

لطيفة

يحكى أن امرأة أقبل الناس عليها لخطبتها، فكانت تمتحنهم في عقيدتهم لتختار منهم زوجها. واستمر بها الأمر، إلى أن سألت أحدهم عن حديث يحفظه يدل على علو الله -سبحانه وتعالى-، فأجابها -على البديهة- بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها)) [مسلم]. فكان ذلك من حسن فقهه.

لطيفة

اعتنى الإله الحكيم -سبحانه- بالوطء فعلق به جملة من الأحكام الشرعية، وقد اجتهد علماء الأمة الإسلامية الجهابذة في حصرها، فقال العز بن عبدالسلام: "ويتعلق بالوطء أحكام كثيرة، وهي قريب من ستين حكماً"[46].

وقال التيجاني: "فكذا الأحكام الناشئة عنه لعلها تبلغ ثلاثمائة حكم، وقد جمعها الناس بناء على قول أبي زيد في (الرسالة)، ومغيب الحشفة في الفرج يوجب كذا ويوجب كذا، فاستدركوا وزادوا وألفوا فأجادوا.

---

[46] (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، تحقيق: نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، دار القلم، ط1 1421هـ-2001م، الجزء الأول، ص341).

ولأبي الفضل بن زرقون في ذلك وضع مختصر، وكان شيخنا الإمام أبو علي عمر بن محمد بن علوان الهذلي -رح- قد ألف في ذلك تأليفًا تهاداه الناس واستغربوه، جمع فيه ما قال غيره واستدرك أحكامًا كثيرة استخرجها بكثرة اطلاعه" إلى أن قال: "حملني سن الحداثة إذ ذاك وحب الظهور على أن وضعت فيها جزءًا انتهت الأحكام المستدركة فيه إلى خمسين حكمًا"[47]

وقال ابن القيم: "فختان الرجل هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة وهو الذي ترتبت الأحكام على تغييبه في الفرج فيترتب عليه أكثر من ثلاثمائة حكم وقد جمعها بعضهم فبلغت أربعمائة إلا ثمانية أحكام"[48]

وقال السيوطي: "القول في أحكام تغييب الحشفة يترتب عليها مائة وخمسون حكما"[49].

[47] (تحفة العروس ومتعة النفوس، محمد بن أحمد التيجاني، تحقيق: جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، ط1 1992م، ص372).

[48] (تحفة المودود بأحكام المولود، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عثمان بن جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، ط1 1431هـ، ص220).

[49] (الأشباه والنظائر في فروع وقواعد الشافعية، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، ط1 1403هـ-1983م، ص270).

السر العاشر

إن نكح الحب صلح

قيل قديمًا: "إن نُكِح الحب فسد" وفيه قصة طريفة "عن الأصمعي، قال : قلت لأعرابية : ما تعدون العشق فيكم ؟ قالت : القبلة والضم والغمزة ، ثم أنشدت تقول :

ما الحب إلا قبلة   وغمزة كف وقصد

ما الحب إلا هكذا   إن نكح الحب فسد

ثم قالت : فكيف تعدون العشق فيكم ؟ قلت : يقعد بين رجليها ثم يجهد نفسه ، قالت : يا ابن أخي ما هذا عاشقا ، هذا طالب ولد"[50].

وقد يتوهم الناظر -ابتداءً- صحة قول الأعرابية، إلا إنه يقطع بعد التأمل بصحة قول الأصمعي لوجوه:

الوجه الأول: قال تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ وقد فسر الحسن المودة بالجماع كما نقله السيوطي في الدر المنثور.

---

[50] (اعتلال القلوب، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2 1420هـ-2000م، المجلد الأول، ص64-65).

الوجه الثاني: ما روي عنه عليه الصلاة والسلام: ((لم ير للمتحابين كالنكاح))[51] [ابن ماجه]، والنكاح راجع إلى استحلال الفرج وإباحة التمتع، فتبين بذلك أن الوطء من خير ما يعزز الحب.

الوجه الثالث: قول أبي نواس:

"أخبرنا عن بعض أشياخه   أبو بلال شيخنا عن شريك

لا يشتفي العاشق من عشقه   بالبوس والتعنيق حتى ينيك"[52] وذلك مما يشهد الحس عليه.

الوجه الرابع: ما جربه الناس من أن الوطء يعزز المودة ويثبت أركان النكاح، وقد قال أحد أصحابي ممن تعددت زوجاتهم:

"كثر هز السرير بحافظ على ثبات البيت

قاعدة استنبطتها عمليا من الحياة الزوجية لأكثر من زوجة" انتهى كلامه.

الوجه الخامس: أعظم ما يجمع المرأة والرجل مع تباينهما في الجسد والعقل والفكر هو الوطء.

الوجه السادس: أن كناية الوطء في عصرنا هي الحب، إذ يصفه بعضهم بعبارة أعجمية الأصل وهي "العلاقة الحميمة"[53]، وكناية الغربيين عن الوطء قولهم: "make love" أي: ممارسة الحب.

الوجه السابع: ليس للرجال فصل محبتهم عن شهوة الوقاع، لشدة تلازمهما وارتباطهما. ولو رضي رجل بأقل مقدمات الوقاع دون التوصل إلى غايتها، لما تمكن من إخماد نار الشهوة المضطرمة في نفسه. ومنه تعلم أن النفس إن أحبت، أحبت الوطء.

---

[51] ساق ابن القيم هذا الحديث بلفظ آخر في روضة المحبين ليستدل به على أن الوطء يزيد الحب ولا يفسده. انظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

[52] (نواضر الأيك في معرفة النيك، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: طلعت حسن عبدالقوي، دار الكتاب العربي، ص95).

[53] انظر الملحق السادس

ومن المفارقة ما قاله ثيودور رايك في كتابه النافع (سيكولوجية العلاقات الجنسية): "والعالم كله يحب العاشق، ولكن ما كل العالم يحب رجلاً لأنه يبتغي مصاحبة امرأة إلى الفراش"[54]. بل الوطء أعظم ما يبعث الحب في نفوس الرجال، قال محمد رشيد رضا: "أما السبب في كون حب الرجل للمرأة أقوى من حبها له فهو أن السبب الطبيعي لهذا الحب هو داعية النسل لا قصده، والداعية في الرجل أقوى وأشد؛ ولذلك تراه يشغل بها إذا بلغ سنا أكثر من المرأة على كثرة شواغله الصارفة له عن ذلك، وهو الذي يطلب المرأة ويبذل جهده وماله في سبيلها موطنا نفسه على أن يمونها ويصونها ويتحمل أثقالها طول الحياة وما عليها هي إلا القبول، فإن طلبت أجملت في الطلب، وإن شئت دليلا آخر على أن داعية النسل فيه أقوى، فتأمل تجده مستعدا لها في كل حال طول عمره، والمرأة تفقد هذا الاستعداد في زمن الحيض وبعد سن اليأس من الحيض الذي يكون غالبا من سن الخمسين إلى الخامسة والخمسين. فإذا قبلت المرأة الرجل بعد هذا كان قبولها إياه من باب التودد والعتبى أو إثارة الذكرى، ولا يدخل في السبب ما هو مسلم عند أكثر الرجال من كون النساء أوفر نصيبا من الحسن وقسما من القسامة والجمال، فإن هذه القضية المسلمة غير صحيحة، فإن الرجال أكمل وأجمل خلقا كما هي القاعدة في سائر الحيوان، إذ نرى أن خلقة الذكر منها أجمل وأكمل من خلقة الأنثى، كما نراه في الشيوخ والعجائز من الناس، بل نرى الأبيض القوقاسي يفضل خلقة رجال الزنوج على نسائهم؛ لأنه قلما يشتهي الزنجيات في حال الاعتدال، فمعظم حسن المرأة وجمالها إنما جاء من زيادة حب الرجل إياها.

[54] (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص16).

فمن تأمل هذه المعاني والفروق في حب كل من الزوجين للآخر يسهل عليه أن يقول: إن المراد بحب النساء حب الزوجية الذي يكون بين المرأة والرجل" انتهى. وقد نقلت الكلام بطوله لما فيه من الفائدة.

الوجه الثامن: لو أن زوج هذه الأعرابية زنى بامرأة أخرى، لقدحت في محبته إياها، ولعدته بحقٍ خائنًا ظالمًا. فزنى الزوج وزنى الزوجة أعظم قادح في المحبة، وهو أشد ما ينقض عراها، ويبطل حقيقتها. وذلك دالٌ -بالضرورة- على أن الوطء أعظم مظاهر المحبة الإنسانية.

الوجه التاسع: أن قبلة الحب تعبيرٌ عن شهوة الوطء، وهي أدنى مقدماتها. فهل يليق بالمحب الجسور أن يقف عند المقدمة ويتهيب الوصول إلى النتيجة؟

"من راقب الناس مات همًا *** وفاز باللذة الجسور"

وهل يليق بالمحب أن يترك نيران الشهوة تضطرم في نفسه فيصطلي بها ولا يطفئها؟ وما فرق نار الحب من نار الشهوة؟ أليس الحب قولًا وعملًا؟ فليكن الوطء إذن برهان الحب ومصداقه.

الوجه العاشر: لا ريب أن الرجل مخلوقٌ لنكاح النساء[55]، وأن المرأة مخلوقة لينكحها الرجال. وانجذاب الرجال إلى النساء بغير قصد الوطء يبطل حكمة الخلق.

وأختتم بكلام جامع لابن القيم في ارتباط شهوة الوطء بشهوة الحب. قال ابن القيم: "فإذا تشاكلت النفوس وتمازجت الأرواح وتفاعلت؛ تفاعلت عنها الأبدان وطلبت نظير الامتزاج والجوار الذي بين الأرواح فإن البدن آلة الروح ومركبه وبهذا ركب الله سبحانه شهوة الجماع بين الذكر والأنثى طلبا

[55] أي أن الرجل مخلوق خلقةً ينكح بها النساء، وكذلك المرأة.

للامتزاج والاختلاط بين البدنين كما هو بين الروحين ولهذا يسمى جماعا وخلاطا ونكاحا وإفضاء لأن كل واحد منهما يفضي إلى صاحبه فيزول الفضاء بينهما"[56].

[56] (روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، ط1 1431هـ، ص124).

السر الحادي عشر

النكاح نجاح

النكاح نجاح: وذلك من وجوه:

الوجه الأول: الوطء تشبه بالصالحين. وفي سيرهم ما يدل على ذلك.

فقد جاء في صحيح البخاري "حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة"

وفي حديث آخر عن قتادة عن أنس: "قلت لأنس: أوكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين"[57]

وفي البخاري أيضًا عن نبي الله سليمان عليه السلام: ((لأطوفن الليلة على تسعين امرأة)). قال ابن حجر: "وفيه ما خص به الأنبياء من القوة على الجماع الدال ذلك على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم".

وقد اختلف عدد نساء سليمان عليه السلام في عدد من روايات الحديث كم هو معلوم، إلا أن الاشتغال بذكرها خارج عن المقام. فليُرجع إليها.

---

[57] "وعن عطاء بن أبي رباح قال: أعطي النبي صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلًا"
(أدب النساء، عبدالملك بن حبيب، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1 1412هـ-1992م، ص176).

وجاء في صحيح مسلم، "عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأى امرأة فأعجبته، فأتى زينب، فقضى حاجته منها، ثم قال: ((إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة، فأعجبته، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه))".

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح)) [الترمذي وضعفه بعض العلماء].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة)) [النسائي وأحمد].

وقد لخص السيوطي بعض ما ذكره الغزالي في الأحياء من بعض أخبار الصالحين في النكاح، فقال: "يحكى، عن ابن عمر[58]، وكان من زهاد الصحابة، وعلمائهم، أنه كان يفطر من الصوم على الجماع، قبل الأكل، وربما جامع قبل أن يصلي المغرب، ثم يغتسل عن ذلك لتفريغ القلب لعبادة الله، وإخراج عدة الشيطان منه.

ولما كانت الشهوة أغلب على أمزجة العرب كان استكثار الصالحين منهم أشد.

وقد نكح علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة بسبع ليال.

وكان الحسن ابنه منكاحا، حتى نكح زيادة على مائتي امرأة.

قلت: بل أكثر من سبعمائة امرأة.

---

58 "وعن عبدالله بن عمر أنه قال: (أعطيت من الجماع ما لم يعط أحد من هذه الأمة إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم) وعن مطرف عن مالك قال: (قدم ابن عمر من سفر، فلما أصبح أخبرهم أنه طاف في ليلته على إحدى عشر امرأة)"
(أدب النساء، عبدالملك بن حبيب، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1 1412هـ-1992م، ص178).

قال الغزالي: وقد قيل: إن كثرة نكاحه أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى"[59].

ونقل الخرائطي عن محمد بن المنكدر "أنه كان يدعو في صلاته : اللهم قو لي ذكري فإن فيه صلاحا لأهلي"[60]. "ويقال : إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده عبد الله ، وقال: (أكره أن أبيت عزبا)"[61]

"وعن ابن وهب أن رجلًا أتى سعيد بن المسيب فقال له: إن عيني كما ترى ذهبت وإنه قيل لي: أنما ذهبت من كثرة الجماع فما ترى؟ فقال ابن المسيب: لا تدعه وإن ذهبت عينك"[62]

قال عبدالملك بن حبيب: "وعن سليمان بن عبدالله الغازي قال: كانت لنافع مولى ابن عمر جارية تسمى كوكب الصبح فكانت ربما فرت منه من كثرة الجماع"[63]

وتتبع أخبار الصالحين في ذلك يطول، فليُرجع إلى الوشاح في فضائل النكاح للسيوطي ففيه طرف منها.

الوجه الثاني: الوطء هداية ربانية كما مر، وهل يليق بعاقل أن يأنف من هداية الرب تعالى؟

الوجه الثالث: الوطء غريزة بشرية، وحاجة فطرية، ولن يستنكف عاقل من الإصغاء للفطرة وقضاء حاجة النفس مع تمكنه من ذلك.

---

59 (الوشاح في فوائد النكاح، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: طلعت حسن عبدالقوي، دار الكتاب العربي، ص51).

60 (اعتلال القلوب، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2 1420هـ-2000م، المجلد الأول، ص106).

61 (إحياء علوم الدين، أبو حامد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، دار المنهاج، ط1 1432هـ-2011م، المجلد الثالث، ص100).

62 (أدب النساء، عبدالملك بن حبيب، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1 1412هـ-1992م، ص179).

63 (أدب النساء، عبدالملك بن حبيب، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1 1412هـ-1992م، ص177-178).

الوجه الرابع: الوطء رزق من أرزاق الله، وعجز الناس عن الوطء الحلال في عصرنا هو من ضيق الأرزاق وحرمان التوفيق الإلهي. فالوطء رزق ينبغي طلبه. وهذا معنى شريف يحسن استحضاره دومًا. ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج))

الوجه الخامس: الوطء استثمار لأعظم ثروات الأرض. وإهماله تضييع لها.

الوجه السادس: الوطء عمارة للأرض، فالإنسان خير من يعمر الأرض، ولا إنسان بلا وطء. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

إن الإنسان يعمر الأرض، ويسخر حيواناتها ونباتها بما يلائم عيشه هو، فأول مستفيد من عمارة الأرض هو الإنسان. وديمومة هذه العمارة لا تكون بغير وطء يأتي الناس منه.

وغريبٌ أن يسعى الإنسان لزراعة النبات، والحفاظ على الحيوان، ونصب ناطحات السحاب هنا وهناك، ولا يخطر بباله أن يسهم في ذلك كله بوطء يخلق الله منه البشر أسياد الأرض.

الوجه السابع: الوطء تكثير لسواد المسلمين. فعن النبي صلى الله عليه وسلم: ((تزوجوا الودود الولود فإني مكاثرٌ بكم الأمم)) [أبو داود]

فإن اعترض على ذلك بأن الوطء تكثيرٌ لسواد المرتدين والكفرة الأصليين وغيرهم من الظالمين.

فالجواب أن حسن التربية والتنشئة هو من مقتضيات الوطء ولوازمه. ألا ترى أن بث البذرة في الأرض لا يكفي لنمو النبات وسموقه، بل واجبٌ أن يتعهده الزارع بالسقاية والعناية.

فإذا كان هذا شأن النبات ناقص الحياة، فكيف بالإنسان سيد الأرض؟

والعامة يقولون فيمن ساء خلقه وقل عقله: "ليت أبوه رقد" "ليته لم يفعلها تلك الليلة" أي: ليت والده لم يتسبب في إنجابه، وهم كذلك يمتدحون العاقل الخلوق منهم بأن يقولوا: "لله أمك" و"لله أم أنجبتك" و"عقمت الأمهات أن يلدن مثله" وغير ذلك. والأصل في ناكح امرأته طلبًا للولد أن يحسن تربيته وتقويمه. فلا يعترض على ذلك بمن لم يعرف للوطء قدرًا.

وبالجملة، "فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر، ومعطل لما خلق الله له من الآلة المعدة ، وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقمِ حروف وأصوات ، يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك حقائق الحكمة الأزلية"[64]

[64] (إحياء علوم الدين، أبو حامد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، دار المنهاج، ط1 1432هـ-2011م، المجلد الثالث، ص107).

السر الثاني عشر

الوطء أشد الغرائز

أشد غريزة على الإنسان غريزة الوطء. قال مكحول في قوله تعالى: ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ "العزبة والغلمة والإنعاظ"[65].

وجاء عن طاووس في تأويل قوله تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفًا﴾: " في أمور النساء. ليس يكون الإنسان في شيء أضعفَ منه في النساء"[66]

ومعلومٌ أن نبي الله يوسف عليه السلام قد هم بامرأة العزيز بعد أن راودته غير أنه استعصم بالله فعصمه. وربما بالغ بعض السلف فقالوا بأنه حل إزاره وتهيأ لها كما في الملحق الثاني. ولولا قوة غريزة الوطء لما حصل ذلك.

ولولا قوة غريزة الوطء وشدتها لما حض الشباب على إشباعها نبي الله صلى الله عليه وسلم ((من استطاع منكم الباءة فليتزوج)) [البخاري].

ولولا قوة غريزة الوطء وشدتها لما وقع في إسارها ملكان من الملائكة (هاروت وماروت) وذلك بعد أن أهبطهما الله إلى الأرض كما في الملحق الثاني.

---

[65] (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين [عبدالرحمن بن أبي بكر] السيوطي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1 1424هـ-2003م، الجزء الثالث، ص429).

[66] (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط1 1422هـ-2001م، الجزء السادس، ص625).

وحديث جابر المتقدم "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأى امرأة فأعجبته، فأتى زينب، فقضى حاجته منها" دليل على قوة غريزة الوطء[67].

ولقوة الوطء ودواعيها، خفف الله تعالى عن المسلمين، فوسعه لهم في ليالي رمضان بعد أن ضيق عليهم فيه كما في الملحق الثاني.

ولولا قوة الوطء وشدتها، لما قال نبي من الأنبياء عليهم السلام لقومه حال الغزو: ((لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن بها)) [البخاري].

هذا وغريزة الوطء أظهر من أن ينكرها الجاحد، أو يجهلها الجاهل، ولولا أن تكذيب الضروريات عادة أهل العصر، لما انشغلنا بالتذكير بها.

[67] نقل السيوطي عن القاضي عياض ما نصه "ولا تظن بمواقعة النبي صلى الله عليه وسلم لزينب حين رأى المرأة، أنه وقع في نفسه شيء منها ؛ بل هو صلى الله عليه وسلم منزه من الميل ، ولكنه فعل ذلك لتقتدي به أمته في الفعل وتتمثل أمره في القول" (الوشاح، ص59). وهو تكلف غريب منه رحمه الله. فما الذي يستوجب التنزيه من هذا الميل الذي هو من كمال الرجولة؟

السر الثالث عشر

من الصالحات نكاح الصالحات

المرأة الصالحة أحق من غيرها بالوطء. وذلك لوجوه:

الوجه الأول: التبرج للرجال فطرة الأنثى، والشرع الحنيف يقصر الظاهر من الزينة على قلةٍ من الرجال، وأقصى ما يظهر من المرأة للأجانب هو الوجه والكفان والقدمان[68]. ولا ريب أن النكاح سبيلٌ مشروع لتحقيق هذه الفطرة على أكمل وجه وأتم صورة. فالمرأة مشتهاة لنكاحها. فأجمل ما تتبرج به المرأة هو حركاتها وتأنقها ورهزها في فراش الزوجية. والصالحات أحرى النساء بذلك.

الوجه الثاني: الوطء الحلال تشبه بالحور العين، والتشبه بأهل الكمال كمال. قال تعالى في صفة الحور العين: ﴿عربًا أترابًا﴾ [الواقعة/37] قال الغزالي: "وقد قيل: إذا كانت المرأة حسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحدقة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، محبةً لزوجها ، قاصرة الطرف عليه .. فهي على صورة الحور العين؛ فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله : ﴿خيرات حسان﴾ أراد بالخيرات : حسنات الأخلاق، وفي قوله : ﴿قاصرات الطرف﴾ ، وفي قوله : ﴿عربًا أترابًا﴾ فالعروب : هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع ، وبه تتم اللذة ، والحور: البيض ، والحوراء: شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر ، والعيناء : الواسعة العين . وقال

---

[68] قال ابن قدامة في المغني: "وقال أبو حنيفة : القدمان ليس من العورة". وفي المسألة خلاف معروف، وليس الغرض الترجيح. وإنما الإشارة.

عليه الصلاة والسلام : ((خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غلب عنها حفظته في نفسها وماله)) وإنما يسر بالنظر إليها محبة للزوج"[69].

وسيأتي في الملحق الثالث ذكر آيات القرآن في صفة الحور العين، وأبيات جميلة رائقة لابن القيم.

الوجه الثالث: لا تبلغ المرأة غاية الجمال والكمال ما لم تكن منكوحة موطوءة، وفرق جمالها عن جمال الأشجار والأنهار هو أنه جمال يحض على الفعل. قال ابن تيمية: "وفرق بين ما يجده الإنسان عند نظره إلى الأشجار والأزهار، وما يجده عند نظره إلى النسوان والمردان"[70]

وقد غلط من زعم أن نصف المرأة العلوي أجمل وأحسن من نصفها السفلي.

قال جورج فيغاريلو: "يركز فيرونزوولي (Firenzoule) في كتابه خطاب حول جمال السيدات (Discours sur la beauté des dames) على لا جدوى المناطق السفلية من الجسم للدلالة على الجمال، علماً أنه وصف العري وصفاً مطولاً، قال: ((الطبيعة دفعت النساء والرجال إلى كشف الأقسام العلوية وإلى إخفاء الأقسام السفلية، لأن الأولى - لكونها مقراً للجمال - يجب أن تُرى، وليس الأمر كذا بالنسبة إلى الأخرى لأنها فقط أساس ومسوغ ومرتكز للأقسام العلوية))."[71]

وهو وهمٌ فاحش -كما ترى-.

---

[69] (إحياء علوم الدين، أبو حامد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، دار المنهاج، ط1 1432هـ-2011م، المجلد الثالث، ص164).
[70] (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المجلد الخامس عشر، 1425هـ-2004م، ص417).
[71] (تاريخ الجمال الجسد وفن التزيين من عصر النهضة الأوروبية إلى أيامنا، جورج فيغاريلو، ترجمة: جمال شحيد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 2011م، ص36).

وأحسن من قال: "أوجه القوم بالمكاره حفت وفروج النساء بالشهوات"[72]. فما ثديا المرأة لولا الولادة الناتجة عن الوطء؟

وجمال أطراف المرأة وأعضائها وجسدها من جمال المأتى الذي يجر الرجال إليه.

ولا تكمل المرأة بالأمومة قبل أن تنكح في عرش الزوجية[73]، لترتفع إلى هذه المنزلة الشريفة. فالوطء مفتاح الوصول إلى الكمال.

وهل جاء خير الناس وأفاضلهم إلى الحياة إلا بالوطء؟

الوجه الرابع: خير النساء هي المتعففة عن الرجال المتماجنة مع زوجها "وفي ((ربيع الأبرار)) للزمخشري عن علي رضي الله عنه: ((خير نسائكم العفيفة في فرجها الغلمة لزوجها))"[74]

"وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق الهيثم، عن عبدالله بن محمد، عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - أنه راود زوجته فاختة بنت قرظة؛ فنخرت نخرة شهوة، ثم وضعت يدها على وجهها؛ فقال: لا سوءة عليك؛ فوالله لخيركن النخارات الشخارات"[75]

الوجه الخامس: قضاء الشهوة بالحلال يعود على النفس بالطمأنينة والراحة، ويعين المرء على طاعة الله. فالقلب المفرغ من دواعي الشهوة والهموم الدنيوية يُرجى له سهولة الإقبال على الله.

---

[72] (نواضر الأيك في معرفة النيك، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: طلعت حسن عبدالقوي، دار الكتاب العربي، ص85).

[73] قال الفخر الرازي: "ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة بل أن تصير شريكة للرجل في ترتيب المنزل وإعداد مهماته من المطعوم والمشروب والملبوس، وأن تكون ربة البيت وحافظة للباب وأن تكون قائمة بأمور الأولاد والعبيد، وهذه المهمات لا تتم إلا إذا كانت مقصورة الهمة على هذا الرجل الواحد منقطعة الطمع عن سائر الرجال، وذلك لا يحصل إلا بتحريم الزنا وسد هذا الباب بالكلية"
(مفاتيح الغيب، دار الفكر، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، الطبعة الأولى 1401هـ-1981م، الجزء العشرون، ص199).

[74] (شقائق الأترج في رقائق الغنج، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، ص88).

[75] (شقائق الأترج في رقائق الغنج، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، ص89).

الوجه السادس: الوطء نعمة من نعم الله التي تستوجب الشكر. وشكرها بالجوارح أبلغ من شكرها باللسان.

الوجه السابع: ليس في صلاح المرأة ما يمنعها من أن تتجمل وتتزين وتتفنن في ذلك لزوجها تقربًا إلى الله تعالى.

بل هي أحرى النساء بذلك لمعرفتها بالله جل وعلا، ونعمه العظيمة عليها.

فـ"من صفات المرأة الخالدة، على مر العصور، أن تتقيّن، كما تتقيّن الروضة في فصل الربيع، وأن تتجمل، وتترقش، وتتزيّغ، وتتزيّق، وتتشوّف، وتتطوّس، وتتبتّل وتتقتّل، حتى يرنو إليها الرجال، ويُعجبوا بها. فالأنثى تتصدى للذكر، وتبحث عنه، كما يبحث هو عنها؛ وتتجنّب بنات جنسها. وهذه سنة الحياة، لأن الجنسين المختلفين يتجاذبان في سبيل التناكح، والتكاثر؛ بينما الجنسان المؤتلفان يتنافران"[76]

الوجه الثامن: لا ريب أن صلاح المرأة وتقواها يرفع منزلتها عند الله تعالى وعند الناس، والناس يرغبون فيها لدينها وإيمانها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فاظفر بذات الدين تربت يداك)). والصالحة من تطيع زوجها وتسعى في مرضاته. قال تعالى: ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾. قال الواحدي في البسيط: "وقوله تعالى: ﴿فالصالحات قانتات﴾. قال المفسرون: مطيعات لأزواجهن. وأصل القنوت دوام الطاعة. وقال الزجاج: قيمات بحقوق أزواجهن.

[76](الجنس وأبعاده جدل القداسة والإغواء والعنف، علي عبدالحليم حمزة، رياض الريس للكتب والنشر،ط1 2003، ص296).

وظاهر هذا إخبار، وتأويله الأمر لها بأن تكون طائعة. ولا تكون المرأة صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فالصالحات قانتات﴾ أي: الصالحات من اللواتي يطعن أزواجهن".

والصالحات أولى بالصالحين، فإذا تسامع الناس بحسن سيرة الصالحات، كان ذلك دافعًا لهم للزوم الصلاح، وكان ذلك مثبتًا لأهل الصلاح، وكان آية من آيات الله في الأرض.

الوجه التاسع: الوطء وسيلة إلى ذكر الله تعالى. وفي البخاري "عن ابن عباس يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره))". ولا ريب أن هذا الدعاء لا يحصل في غير مقارفة الوطء.

الوجه العاشر -وهو أهم الوجوه-: الوطء صدقة. وهو قربة لله جل وعلا إذا صلحت النية.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وفي بضع أحدكم صدقة)) قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : ((أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ؛ كان له أجر)) [مسلم].

والصالحة أولى من غيرها بأن تعين زوجها على الصدقة والتقرب لله تعالى.

لطيفة

ذهب بعضهم إلى أن شيوع العزوبة مقترن بخلع الحجاب وكشف ما أمر الله بستره. ولعل النكاح يدرأ ذلك -على التسليم بالاقتران بين العزوبة وخلع الحجاب-.

قال محمد الحسيني الشيرازي: "عندما كانت الشعوب الإسلامية غير مبتلاة بمشكلة العزوبة كانت المرأة آنذاك غالباً ما تلتزم بالحجاب الإسلامي الكامل، ولكن بعد أن ظهرت حالة العزوبة على الساحة الإسلامية ومن أجل جذب الرجال تركت العديد من النساء حجابهن جانباً وأخذن يتفنن في إبداء مفاتنهن أمام الرجال، علهن يجلبن انتباه أحدهم أو يحظين برجل منهم ليكون لهن زوجاً"[77].

ولكن يرد عليه أن خلع الحجاب لا ينحصر في الدافع المذكور، إذ يكثر أن يقع التبرج لا لجذب الرجال -أو هكذا يظهر-.

وعكس بعضهم القضية، فرأى أن تبرج النساء وتخلعهم سببٌ في شيوع العزوبة.

قال محمد رشيد رضا: "وتهتك النساء في هذا العصر هو الذي أحدث ما يسمونه أزمة الزواج في مصرنا وأمثالها"[78]

[77] (كيف نزوج العازبات، محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، ط2 1425هـ-2004م، ص42).
[78] (حقوق النساء، محمد رشيد رضا، ص186).

السر الرابع عشر

الوطء من أشرف الأشياء

الوطء أشرف من الأكل والشرب. ألا ترى أن الرجل الحر الكريم ينتهض للذب عن عرضه انتهاضًا عظيمًا لا ينتهض مثله عند انتقاص أكله وشربه؟

وبرهان ذلك ما قاله سعد بن عبادة رضي الله عنه: "لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح" [البخاري].

قال ابن القيم: "ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمته قُتلت كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت"[79].

وأنت ترى أن حمية الرجال للعرض تجعلهم يقتلون محارمهم عند شبهة الزنا، وعشر معشار تلك الصلابة لا تحصل لغير انتهاك العرض. وتلك الغيرة من الفطرة التي تواطأت عليها الأمم والشعوب.

والوطء يحرك الرجال لبذل الغالي والرخيص لاستمالة النساء. ولو قلنا أن علاقة الرجال والنساء مبنية على الوطء لما كان ذلك بعيدًا، فالنساء إما محارم وإما أجانب. أما المحارم فقُبح نكاحهن لما سبق من نكاح الأب الأم. بخلاف الأجانب اللاتي يباح نكاحهن لعدم ذلك الوطء.

---

[79] (الداء والدواء، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط1 1429هـ، ص378).

السر الخامس عشر

الوطء غاية الحب

حاجة الإنسان إلى الوطء أعظم من حاجته إلى الحب، وفي ذلك يقول رايك: "ليس الحب ضرورياً ضرورة إشباع حاجتي الجوع والعطش الحيويتين. ليس الحب ضرورياً ضرورة الجنس. قد ينكر الرومانسيون والشباب ذلك، ولكن الوقائع عنيدة جداً"[80].

إن أول ما يلفت الرجل في المرأة هو جسدها لا قلبها وعقلها. عسرٌ عليه أن ينفذ إلى عمق روحها وفكرها، دون أن تسلبه عجيزتها أو أثداؤها أو وجهها ونحرها أو قدماها وساقاها. ولا عجب في ذلك "فالله سلحها بالأنوثة لتفتن الرجل"[81] فهي من شهوات الدنيا اللذيذة، ومن فتنها التي يمتحن الله بها عباده.

قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ [آل عمران/14].

قال التيجاني: "فجعل الله تعالى النساء في هذه الآية رأس الشهوات بتقديمه إياهن على جميع ما ذكر منها، وذلك لتقدمهن في قلوب الرجال على جميعها"[82].

فسلسلة الوطء تجذب الرجال أبدًا إلى النساء. ومهما يكن بينهم من بغضاء وشحناء. فالوطء يستعلي على تلك المشاعر ويطؤها ويتسلط عليها كما يشاء.

---

[80] (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص108).

[81] (الجنس وأبعاده جدل القداسة والإغواء والعنف، علي عبدالحليم حمزة، رياض الريس للكتب والنشر،ط1 2003، ص20).

[82] (تحفة العروس ومتعة النفوس، محمد بن أحمد التيجاني، تحقيق: جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، ط1 1992م، ص29).

السر السادس عشر

إثبات لذة الوطء

للناس مذهب في احتقار لذة الوطء وحاصله أن اللذة الحاصلة من الوطء إنما هي لدفع الأذى والضرر ليس إلا. وممن قال به الفخر الرازي، وابن القيم، وثيودور رايك. على أنني لم أستقص من قال بهذا القول قبل هؤلاء أو بعدهم، وإنما اتفق لي النظر في كلامهم فأحببت أن أورده كما هو ثم أعقب عليه. قال الرازي: "ولا شك أن الجوع ألم شديد. وأيضاً، الاحتياج الشديد إلى الوقاع ألم. فلما رأينا أنه كلما كانت هذه الآلام أشد وأشق، كان دفعها ألذ وأطيب، غلب على الظن أنه لا معنى لهذه اللذات والراحات إلا مجرد دفع تلك الآلام السابقة"[83]، بل وذكر أن أعضاء الوقاع أخس أعضاء الإنسان وأن الناس إنما ستروها لذلك[84] وتابعه ابن القيم فقال: "وموقع هذه اللذة من النفس كموقع لذة البراز من رجل احتبس في موضع لا يمكنه القيام الى الخلاء، وصار مضطرًا اليه؛ فإنه يجد مشقة شديدة وبلاء عظيمًا، فإذا تمكن من الذهاب الى الخلاء وقدر على دفع ذلك الخبيث المؤذي، وجد لذة عظيمة عند دفعه وإرساله، ولا لذة هناك الا راحته من حمل ما يؤذيه حمله"[85] انتهى. والناظر في كلام ابن القيم يكاد يقطع أنه آخذ من الرازي.

---

[83] (ذم لذات الدنيا، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ص218).
Shihadeh, Ayman. (2006). The Teleological Ethics of Fakhr al-Din al-Razi. Islamic Philosophy, Theology, and Science, (64), pp218

[84] (ذم لذات الدنيا، الفخر الرازي، ص222).

[85] (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، ط1 1432هـ، المجلد الأول، ص380-381).

وأما ثيودور رايك فقد قال: "وأنا أعود هنا إلى توصيف الدافع الجنسي بأنه حاجة عضوية لإزالة، أو على الأقل لتخفيف، توتر فيزيائي محض، وتحقيق إطلاق جسدي"[86].

وكل ما قالوه محض مبالغة وتهويل. إذ ليس دفع الأذى وتخفيف الألم هو الدافع الوحيد للوطء، فدوافعه متعددة كثيرة، وابن القيم نفسه يبين مقاصد الجماع فيقول: "فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية: أحدها: حفظ النسل، ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم.

الثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

الثالث: قضاء الوطر، ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة، وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة، إذ لا تناسل هناك، ولا احتقان يستفرغه الإنزال"[87]. وتوسع في ذكر منافعه وفوائده.

ودفع الألم إنما يتفق في أقل أحوال الإنسان. وإنما يطلبه الإنسان في أكثر الأحيان للذة التي يجدها فيه.

كما أن نشوة الوطء وغاية لذته إنما تحدث أثناء فعل الإنسان، فهي ليست كلذة الراحة من التغوط، وقياس هذه اللذة على تلك خاطئ قطعًا. إلا أن يقال أن الراحة التي يجدها بعد الوطء

---

[86] (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص58).
[87] (زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3 1418هـ-1998م، الجزء الرابع، ص228).

هي كالراحة التي يجدها بعد زوال الإمساك، وهذا وإن سُلِّم إلا أنه لا يدل على اتفاق مورد اللذتين، وأنهما حاصل دفع الأذى.

وثيودور رايك نفسه أضفى على الوطء معاني أخرى غير مجرد دفع التوتر الفزيقي -حسب تعبيره- إذ قال: "وكبرياء الرجل في علاقاته مع النساء هي، في المقام الأول، كبرياء جنسية، كما لو أنه غير واثق من قدرته الجنسية. وهكذا فإن أداءه لوظيفته في الاتصال الجنسي لا يكون له طابع الإشباع الفيزيائي وحسب، بل طابع الانتصار أيضاً"[88].

ثم إن استجابة الرجال لدوافع الوطء لا تخلو -في نفسها- من تفاوت عظيم. إذ لا يطأ الواحد منهم والدته أو أخته مهما استبدت به الشهوة إلا إن استرسل في هواه، فأحدث في نفسه ميلًا بخلاف ميله الطبيعي. هذا مع أنه قد يُكرِه امرأة أخرى على الوطء. فهل انحصرت لذة الوطء في دفع الأذى؟ ماذا عن إكراه النساء على الوطء (الاغتصاب)؟ أيصح تعليله بمجرد دفع الأذى؟

أما الاحتجاج بستر الناس أعضاء العورة على قبحها، فلم يتفرد به الرازي، إذ قال به ابن الجوزي وبالغ في الانتصار له، وهو ممن عاصر الرازي ومات قبله، إلا إنني لم أظفر بما يفيد أن أحدهما آخذ من الآخر، ولعل اتفاقهما في الحجة مأخوذ عن أصل متقدمٍ لا أعرفه، فالله أعلم بحقيقة الحال. والمقصود بيان هذه الحجة، والرد عليها. فلننقل من كلام ابن الجوزي ما يبينها، ثم نتعقبه. قال ابن الجوزي: "ولولا تركيب الشهوة، لم يقع الوطء؛ لأنه التقاء عضوين غير مستحسنين، ولا

[88] (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص200).

صورتهما حسنة، ولا ريحهما طيب؛ وإنما الشهوة تغطي عين الناظر، ليحصل الولد أصلا"[89]. وقال في موضع آخر: "فلو تفكر الإنسان في جسد مملوء بالنجاسة ما طاب له ضمه غير أن الشهوة تغطي عين الفكر". ولعله تابع الغزالي الذي قال في كتابه الأربعين في أصول الدين: "وكيف يفتخر بالجمال وحمّى شهر تفسده، والجدري يزيله! لو تفكر الجميل في أقذار باطنه لأدهشه ذلك عن تزويق ظاهره، ولو لم يتعهد الجميل بدنه أسبوعاً بالغسل والتنظيف لصار أقذر من الجيفة، ومن تغير النكهة والصُنان ورائحة العذرة، وكراهية الوسخ والمخاط والرمص فمن أين للمزبلة أن تفتخر بجمالها! والإنسان بالحقيقة مزبلة، فإنه منبع الأقذار والنجاسات، فضلاً عن كون هذا الجمال زائل عن قريب، مبدلاً إلى الهرم والشيخوخة بحيث لا يبقى له أثر.

فالعاقل الصحيح العقل إذا لاحظ ذلك لا يتصور الكبر أصلاً"[90]انتهى.

فهذه غاية ما عند ابن الجوزي، والجواب عنه من وجوه:

الأول: قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾، قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها".

وقال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك﴾.

---

[89] (صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، تحقيق: عبدالقادر عطا، ط1 1412هـ -1992م، ص424).
[90] (الأربعين في أصول الدين، أبو حامد [محمد بن محمد] الغزالي، عني به: عبدالله عبدالحميد عرواني، دار القلم، ط1 1424هـ-2003م، ص163).

قال السمعاني: "وقوله: ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة﴾ قال عطاء: جعلك قائما معتدلا حسن الصورة، وقيل: سواك أي: سوى بين يديك ورجليك وعينيك وأذنيك، ووضع كل شيء موضعه، وهو أيضا معنى قوله: ﴿فعدلك﴾ ذكره الكلبي وغيره.

وقيل: عدلك أي عدل خلقك، وهو على ما بينا.

وقرئ بالتخفيف أي: صرفك في أي صورة شاء من حسن وقبيح، وطويل وقصير".

الوجه الثاني: لو جاز لابن الجوزي -رحمه الله- أن يحتج على قبح أعضاء النكاح بوجوب سترها، لجاز أن يقال بأن ستر المرأة وكونها عورة إنما حصل لكونها قبيحة سيئة. ولا يقول بذلك أحد.

وبيان ذلك ما قاله المجلسي الشنقيطي: "ولذلك سميت السوءتان عورة لأنه بكشفهما يحصل خلل في حرمة مكشوفهما، والمرأة عورة لأنه يتوقع من رؤيتها أو سماع كلامها خلل في الدين والعرض والمروءة، لا من العورة بمعنى القبح لعدم تحققه في الجميلة من النساء لميل النفوس إليها. قاله الشيخ إبراهيم"[91]. انتهى.

الوجه الثالث: لا يصح تقبيح أعضاء العورة إلا بقياسها على مثالٍ يفوقها حسنًا وجمالًا في الحس (الواقع) أو الذهن. ولا مثال في الحس يشهد بقبح أعضاء العورة، فلم يبق إلا مثال الذهن. ولكننا نقطع أنه محض الوهم والغلط. فالله عز وجل تمدح بإحسانه -تعالى- خلقة الإنسان، وتركيبه في أجمل صورة، وأعظم مثال. ولا يصح لنا أن نخرج أعضاء العورة من مجموع هذه الخلقة الحسنة

---

[91] (لوامع الدرر في هتك أسرار المختصر، محمد بن محمد بن سالم المجلسي الشنقيطي، دار الرضوان، ط1 1436هـ-2015م، المجلد الثاني، ص1).

أعضاء العورة لمجرد الأوهام والظنون. إذ ذلك من القدح في صنعة الله تعالى كما قال القائل: "أتعيب الصنعة أم تعيب الصانع؟".

نعم ليس يرضى الإنسان بجسده وأعضائه لقصوره عن كل ما يتخيله ويتوهمه، وليس ذلك لنقص في الجسد. سبحان الله! وما ذلك إلا لاعتياد الإنسان نسيان نعم الله تعالى عليه وجحودها.

﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها﴾.

هذا والناظر في تركيب هاته الأعضاء وهيئتها، يجزم بحسن خلق الله تعالى ويحمده ويعظمه ويعلم أنه لم يخلق ذلك عبثًا. بل ويدرك شيئًا من حكمة الله تعالى وسره في القصور والعيب الذي يعتري أعضاء بعض الناس. والحق أننا ما عرفنا العيب والنقصان إلا بقياس ذلك على الكمال والجمال الذي اطرد في مخلوقات الله تعالى، ومنها أعضاء العورة. وما خرج عن ذلك فآية عظيمة على قدرة الله تعالى وحكمته البالغة. فالحمد لله رب العالمين.

هذا وابن الجوزي -رحمه الله- قائل في كتابه العظيم تلبيس إبليس: "وهذه الأصابع التي هيئت فيها العقد لتطوي وتنفتح، فيمكن العمل بها، ولم يجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي إذا ضمت" انتهى.

فالأصل أن ندرك كمال الخلقة الإنسانية، وأن نعرف ما يعتريها من نقص بالقياس على الخلقة الشائعة المطردة، أو بالقياس على صورٍ لم يخلقها الله تعالى -كما فعل ابن الجوزي رحمه الله-، فنعلم أن الحكمة البالغة له سبحانه وتعالى.

الوجه الرابع: نفي جمال هذه الأعضاء مكابرة للحس. هذا ولم يرد في القرآن نفي لذاذات هذه الشهوات، ومنافعها. قال تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبيرٌ ومنافع للناس﴾.

وقال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة من الأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾.

وإنما ذمت شهوات الدنيا باعتبار أن الاستغراق فيها يشغل النفس عن أعظم شهوة ولذة، ألا وهي محبة الله تعالى وعبادته.

قال الغزالي: "إنما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى لزحمة سائر الشهوات"[92].

قال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾.

قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

قال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾.

قال ابن عباس: "ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء"

وقال الغزالي: "ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهه على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها

---

[92] (الأربعين في أصول الدين،أبو حامد [محمد بن محمد بن محمد بن أحمد] الغزالي، عني به: عبدالله عبدالحميد عرواني، دار القلم، ط1 1424هـ-2003م، ص256).

ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله".

لطيفة

للناس في طلب النكاح عدة أغراض لا تنحصر في مجرد قضاء اللذة أو دفع الألم أو طلب الولد. وقد استطلعها بعضهم فأوصلها إلى 237 باعثًا وغرضًا! فمن الناس من يطلب النكاح غذاءً للروح وقربة للرب -جل وعلا-، ومنهم من يطلبه حبًا لشريكه في الوطء، أو انتقامًا منه. هذا والدراسة موجودة وعنوانها (Why Humans Have Sex?) أي: لمَ يطلب الناس النكاح؟[93]

وقد شاع أن الناس في القديم إنما أقبلوا على النكاح طلبًا للأولاد. وذلك غير صحيح. قال الفخر الرازي: "أكثر الناس يحترزون عن حصول الولد؛ لأن حصوله يحمل الإنسان على طلب المال وإتعاب النفس في الكسب، إلا أنه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة، حتى إن الإنسان بطلب تلك اللذة يقدم على الوقاع، وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى، وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع، فوضع اللذة في الوقاع، كشبه الإنسان الذي وضع الفخ لبعض الحيوانات، فإنه لا بد وأن يضع في ذلك الفخ شيئا يشتهيه ذلك الحيوان حتى يصير سببا لوقوعه في ذلك الفخ، فوضع اللذة

[93] ورابطها:
https://labs.la.utexas.edu/buss/files/2015/09/why-humans-have-sex-2007.pdf

في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الفخ، والمقصود منه إبقاء النوع الإنساني الذي هو أشرف الأنواع". انتهى.

وقال كولن ويلسون في كتابه أصول الدافع الجنسي: "إن أكثر الأمور جلاء بالنسبة للدافع الجنسي هو أن الإنسان والطبيعة لهما في هذا المجال غايتان متباينتان. إن التناسل هو غاية الطبيعة كما يبدو. أما غاية الإنسان فهي أن يحصل على أكبر قدر من الاستمتاع بالنشوة الجنسية. ومن الصحيح القول إن أغراض الإنسان والطبيعة قلما تتوافق وتلتقي التقاء تاما"[94]. انتهى.

ويضاف لذلك أن الأمم تستقبح الزنا ولو صدر من شابٍ نكح عجوزًا غابرًا لا يرجى لها الذرية. ولا يصح استقباح زنا العجوز والشيخ الكبير، لو كان غرض الوطء محصورًا في التناسل.

[94] (أصول الدافع الجنسي، كولن ويلسون، ترجمة: يوسف شرورو وسمير كتّاب، دار الآداب، ص13).

السر السابع عشر

أصل الوطء

يُقال أن أصل الوطء من الجنة. إذ "أخرج ابن عدي، وابن عساكر ، عن إبراهيم النخعي قال : لما خلق الله آدم وخلق له زوجته بعث إليه ملكا وأمره بالجماع ففعل، فلما فرغ قالت له حواء : يا آدم هذا طيب زدنا منه"[95] وقد ذهب ابن عدي والذهبي إلى بطلان هذا الخبر كما أفاده محقق الدر المنثور.

وأقدم نكاحٍ منصوصٍ عليه في القرآن هو نكاح أبوينا آدم وحواء -عليهما الصلاة والسلام- في الأرض. قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ [الأعراف/189]

وفي تفسير ابن أبي حاتم "حدثنا محمد بن عمار، ثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة، ثنا عبد الواحد، ثنا سالم بن أبي حفصة، قال: سمعت سعيد بن جبير، يقول في هذه الآية: ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا﴾ قال: أهبط آدم، وحواء، وإبليس إلى الأرض، قال: فدنا آدم من امرأته، فوقعت في نفسه الشهوة فقام إليها فجامعها، فحملت وهي لا تعلم، فجعل بطنها يعظم،

[95] (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين [عبدالرحمن بن أبي بكر] السيوطي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1 1424هـ-2003م، الجزء الأول، ص282).

فقالت لآدم: ما هذا الذي قد عظم له بطني، قال: فسمع ذلك إبليس، قال لها: إنك قد حملت فتلدين"

قال الواحدي في البسيط: " وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾، قال ابن عباس والمفسرون: (يعني: آدم). ﴿وجعل منها زوجها﴾ كما قال في سورة النساء: ﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾.

وقوله تعالى: ﴿ليسكن إليها﴾. قال ابن عباس: (يريد: ليأنس بها ويأوي إليها).

قال أهل المعاني: (والحكمة في أن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم هو أن يكون آدم إليها أميل، ولها آلف وأحب؛ إذ الشكل إلى شكله أحب، ولذلك كانت الأشياء تحن إلى أشكالها، وتهرب من أضدادها)، وقوله تعالى: ﴿فلما تغشاها﴾. قال المفسرون: (جامعها)، قال أبو إسحاق: (كنى به عن الجماع أحسن كناية)، والغشيان إتيان الرجل المرأة، وقد غشيها وتغشاها إذا علاها، ومثله تجللها".

واعلم أن القائلين بنظرية دارون يخوضون في أصل الوطء، ويخبطون فيه بغير هدى، وقد اتفق لي من خرافاتهم في ذلك ما يمجه العقل المتبصر بنور الله. نسأل الله أن يجعل لنا نورًا نمشي به في الظلمات.

قال ثيودور رايك في كتابه سيكولوجية العلاقات الجنسية: "ولم يكن الاتصال الجنسي، في البداية، مختلفاً كثيراً عن الاغتصاب. فالرجل البدائي كان ينقض على المرأة بضراوة ويسيطر عليها بالقوة"[96]

[96] (سيكولوجية العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى، ط1 2005م، ص156).

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾.

صدق الله العظيم. وكذب وأُفِك أشياع التطور المزعوم. فالحمد لله الذي هدانا للحق بإذنه.

السر الثامن عشر

كثرة أشكال الجماع

فضل الله عز وجل الإنسان على سائر الحيوان بكثرة أشكال الجماع[97]، ولو تأملت أغلب الحيوانات المعروفة لوجدت أنها تواقع بعضها البعض بطريقة واحدة. بخلاف الإنسان الذي يتفنن في ذلك.

ولم أقف على كتاب يقارن وطء الإنسان بوطء الحيوان. وهو مما يحسن بحثه ودراسته.

وستأتي الإشارة لما كتبه الناس في أشكال الوطء في السر التاسع عشر. غير إنني أحب أن لا أخلي المقام من ذكر قول الله عز وجل: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

قال الطبري: "عن ابن عباس قوله:" نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم"، قال: ائتها أنى شئت، مقبلةً ومدبرةً، ما لم تأتها في الدُّبر والمحيض"

وقال: "أن ابن كعب كان يقول: إنما قوله:" فأتوا حرثكم أنى شئتم"، يقول: ائتها مضجعة وقائمة ومنحرفة ومقبلة ومدبرة كيف شئت، إذا كان في قبلها"

وقال: "عن سعيد بن أبي هلال: أن عبد الله بن علي حدثه: أنه بلغه أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ جلسوا يوما ورجل من اليهود قريب منهم، فجعل بعضهم يقول: إني لآتي امرأتي وهي مضطجعة. ويقول الآخر: إني لآتيها وهي قائمة. ويقول الآخر: إني لآتيها على جنبها وباركة. فقال اليهودي: ما أنتم

---

[97] ذكر السيوطي طائفة منها في كتابه نواضر الأيك فارجع إليه.

إلا أمثال البهائم! ولكنا إنما نأتيها على هيئة واحدة! فأنزل الله تعالى ذكره:" نساؤكم حرث لكم"، فهو القبل"

وقال البغوي: "وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرت عليه وقالت إنا كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية"

السر التاسع عشر

علم الباه

والعلم الذي يبحث في أحوال الوطء وما اتصل به هو علم الباه.

قال حاجي خليفة في كشف الظنون: "علم الباه هو علم باحث عن كيفية المعالجة المتعلقة بقوة المباشرة من الأغذية المصلحة لتلك القوة والأدوية المقوية أو المزيدة للقوة أو الملذذة للجماع أو المعظمة أو المضيقة وغير ذلك من الأعمال والأفعال المتعلقة بها كذكر أشكال الجماع وحكايات محركة للشهوة التي وضعوها لمن ضعفت قوة مباشرته أو بطلت فإنها تعيدها بعد الإياس. روي أن ملكا بطلت عنه القوة فزوج عبدا من مماليكه جارية حسناء وهيأ لهما مكانًا بحيث يراهما الملك ولا يريانه فعادت قوته بمشاهدة أفعالهما انتهى ملخصًا من المفتاح[98] ولا يبعد أن يقال وكذا النظر إلى تسافد الحيوانات لكن النظر إلى فعل الإنسان أقوى في تأثير عود القوة[99] وهذا العلم من فروع علم الطب بل هو باب من أبواب كتبه غير أنهم أفردوه بالتأليف اهتمامًا بشأنه ومن الكتب المصنفة فيه الألفية والشلفية قال أبو الخير يحكى أن ملكًا بطلت عنه قوة المباشرة بالكلية وعجز الأطباء عن معالجتها بالأدوية فاخترعوا حكايات عن لسان امرأة مسماة بالألفية لما أنها جامعها ألف رجل

98 يعني مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده وسآتي ببعض نقله بعد تمام هذا النقل.

99 قال ابن تيمية: "والرجل إذا سمع من يفعل مع المردان والنساء أو رأى ذلك أو تخيله في نفسه، دعاه ذلك إلى الفعل"، وقد غلا الناس في زماننا، وبالغوا في إشاعة الفحش، والتفنن في تصوير الوطء، فانعكس الأمر عليهم، وصار من يشاهد الأفلام الإباحية الفاجرة تضعف قوته في الباه. فالله المستعان.

فحكت عن كل منهم أشكالا مختلفة فعادت باستماعها قوة الملك انتهى وقد سبق ذكر الألفية في موضعها"[100]

وأما الألفية فقد قدم حاجي خليفة الكلام فيها فقال: "ألفية وشلفية للحكيم الأزرقي الشاعر ألفها لملك نيسابور طوغان شاه بن أخت طغرل السلجوقي لما ابتلي بضعف الباه فانتفع بها وهي حكاية مصنوعة عن امرأة كأنها جامعها ألف رجل فصورها بأشكال مختلفة وقد ذكر في علم الباه أن النظر إلى أمثال هذه يحرك الباه تحريكًا قويًا".

وقال طاش كبري زاده في مفتاح السعادة: "ومن الكتب الجامعة في هذا الباب:

كتاب رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه

وكتاب رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب

وكتاب الفخ المنصوب إلى صيد المحبوب

وكتاب تحفة العروس وجلاء النفوس

وكتاب نصير الدين الطوسي نافع في الباب". انتهى.

ومن مصنفات من تأخر عن هؤلاء الروض العاطر ونزهة الخاطر للنفزاوي.

---

[100] (كشف الظنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، المجلد الأول، ص217-218).

على أن من العلماء من كره التصنيف في ذلك كراهية شديدة.

قال تاج الدين السبكي: "المثال التاسع والسبعون

الناسخ: ومن حقه ألا يكتب شيئًا من الكتب المضلة؛ ككتب أهل البدع والأهواء؛ وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع اللّه تعالى بها؛ كسيرة عنتر وغيرها من الموضوعات المختلفة التي تضيع الزمان، وليس للدين بها حاجة؛ وكذلك كتب أهل المجون. وما وضعوه في أصناف الجماع، وصفات الخمور وغير ذلك مما يهيج المحرمات. فنحن نحذر النساخ منها؛ فإن الدنيا تغرّهم. وغالبًا مستكتب هذه الأشياء يعطى من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب كتب العلم. فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه"[101].

[101] (معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين عبدالوهاب [بن علي] السبكي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1 1407هـ-1987م، ص101).

السر العشرون

الوطء في الجنة

الوطء في الدنيا مثال الوطء في الآخرة. قال الغزالي: "ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله.

فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة الموصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان"[102].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع))، قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: ((يعطى قوة مائة)) [الترمذي].

وفي الملحق الثالث أبيات من نونية ابن القيم في وصف ذلك.

---

[102] (إحياء علوم الدين، أبو حامد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، دار المنهاج، ط1 1432هـ-2011م، المجلد الثالث، ص117-118).

تمت الأسرار، والحمد لله العلي الغفار.

توصيات:

1 ينبغي أن يتصدى لعلم الباه وما اتصل به من فنون عالمٌ فاضل يخاف الله عز وجل، ويعظّم وحيه الشريف، ويستقري تراث أمته قبل أن يقرأ ما كتبه أهل الغرب والشرق. إذ لا يخلو حالهم وقد كتبوا ما كتبوه من اعتداد زائفٍ بالنفس، ونقص استقراء، وفرح بما عندهم من العلم. والله المستعان.

2 ينبغي أن يحقق مؤلفات الأوائل في علم الباه محققون أجلاء يشرحون غوامض الكلمات، ويقارنون ما فيها من الطب بما عندنا من الطب. بل ويقارنونها أيضًا بمصنفات الأمم الأخرى.

3 وينبغي أن تترجم كتبهم إلى لغات الناس الأخرى.

4 حسنٌ أن يبحث الناس تغير دلالات ألفاظ الوطء والشهوة في التاريخ.

كتب للاستزادة:

أدب النساء – عبدالملك بن حبيب.

مفاخرة الجواري والغلمان – عمرو بن بحر الجاحظ.

فصل النكاح من إحياء علوم الدين – أبو حامد الغزالي.

تحفة العروس ومتعة النفوس – محمد بن أحمد التيجاني.

(نواضر الأيك في معرفة النيك - الوشاح في فوائد النكاح - شقائق الأترج في رقائق الغنج) كلها لجلال الدين السيوطي.

رجوع الشيخ إلى صباه – ابن كمال الحنفي

(محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء: الحد السادس عشر في المجون والسخف[103]) – الراغب الأصفهاني

سيكولوجية العلاقات الجنسية – ثيودور رايك

زهر الربيع[104] – نعمة الله الجزائري

خاتمة:

أسأل الله التوفيق والسداد في حسن العرض والإيجاز، برغم الصعوبة والإعجاز.

وأسأله أن يرحمنا برحمته، ويعفو عنا، ويبارك فينا.

البراء بن محمد[105]

---

[103] وقد حذفه بعض الناشرين بسبب فحشه كما يزعمون، فليتنبه إلى ذلك.
[104] مع التنبه لمخالفات كاتبه في العقيدة وتعصبه للباطل.
[105] وقع الفراغ من هذه الخاتمة في النسخة الأولى مساء السبت 1442/5/2هـ الموافق 2019/12/28م

الملحقات



الملحق الأول

متفرقات

قال ابن القيم: "وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة، مستفرشا لها بعد الملاعبة والقبلة، وبهذا سميت المرأة فراشا، كما قال - صلى الله عليه وسلم: ((الولد للفراش)) ، وهذا من تمام قوامية الرجل على المرأة، كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ وكما قيل:

إذا رمتها كانت فراشا يقلني ... وعند فراغي خادم يتملق

وقد قال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾، وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال، فإن فراش الرجل لباس له، وكذلك لحاف المرأة لباس لها، فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية، وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر. وفيه وجه آخر، وهو أنها تنعطف عليه أحيانا، فتكون عليه كاللباس، قال الشاعر: إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباسا

وأردأ أشكاله أن تعلوه المرأة، ويجامعها على ظهره، وهو خلاف الشكل الطبيعي الذي طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى، وفيه من المفاسد أن المني يتعسر خروجه كله، فربما بقي في العضو منه فيتعفن ويفسد، فيضر، وأيضا: فربما سال إلى الذكر رطوبات من الفرج، وأيضا فإن

الرحم لا يتمكن من الاشتمال على الماء واجتماعه فيه، وانضمامه عليه لتخليق الولد، وأيضا: فإن المرأة مفعول بها طبعا وشرعا، وإذا كانت فاعلة خالفت مقتضى الطبع والشرع"[106]. انتهى

ولخص ابن مفلح كلامه في الآداب الشرعية فقال: "وأحسن أحوال الجماع أن تتقدمه مقدماته من القبلة والمداعبة ونحو ذلك لتتحرك الشهوة منها. وقد ذكر الأطباء أن الرجل إذا فرك حلمتي المرأة اغتلمت، ثم يعلوها مستفرشًا لها، قال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾.

وهذا الحال أسبغ اللباس وأكمله، وأما علو المرأة على الرجل فخلاف مقتضى الشرع والطبع، وهو مضر عند الأطباء، قالوا: يورث الأدرة والانتفاخ وقروح الإحليل والمثانة؛ لأجل ما يسيل من منها ويدخل الإحليل وهو حار". انتهى

ومع ما في كلام ابن القيم -رحمه الله- من النفائس والفوائد، لا سيما تقريره أن اعتلاء الرجل المرأة من أجمل أشكال الجماع؛ إلا أن زعمه -رحمه الله- أن المرأة تصير فاعلة بمجرد علوها حال الوطء فاسد لا حقيقة له. ففعل الوطء من الرجل. وانفعال المرأة بذلك الفعل لا يتغير أبدًا بتغير جهتها. فالمرأة موطوءة في الجهتين جهتي العلو والسفول.

وقد وجدت نظير قول ابن القيم في كتاب الموسوعة النفسية الجنسية لعبدالمنعم الحفني: "والوضع والمرأة في الأعلى Woman-on-top-position قيل فيه إن سقوط روما كان لمائة سبب، منها أن يكون الجماع والمرأة تعتلي الرجل، فلقد يعني ذلك أن الرجل هو الخانع والمرأة هي المتحكمة في

---

106 (زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3 1418هـ-1998م، الجزء الرابع، ص234-235).

أخص خصوصيات العلاقة بينهما، ولقد آلت الأمور في الدولة الرومانية على الحقيقة إلى النساء ولم يعد الرجال هم المحاربون الذين فتحوا الأمصار"[107] انتهى. وكتاب الحفني نفيس في بابه، على أنه لا يعتني كثيرًا بالعزو إلى المصادر.

-

قال أحمد شوقي:

"نظرة فابتسامة فسلام *** فكلام فموعد فلقاء"

ولكنه تطويل ظاهر، وهو مسبوق بإيجاز بليغ، قال صاحبه:

"وما هي إلا نظرة وتبسم *** فتبذل رجلاها وتسقط للجنبِ"[108]

-

"قال ابن سيرين: ألذ الجماع أفحشه . وقال الأحنف : إن أردتم الحظوة عند النساء فافحشوا النكاح واحسنوا الخلق"[109]

-

"تميم بن خزيمة التميمي:

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم *** أشهى المطي إلي ما لم يركب

---

[107] (الموسوعة النفسية الجنسية، عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط4، 2002م، ص459).
[108] (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار الحياة، الجزء الثالث، ص241).
[109] (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار الحياة، الجزء الثالث، ص266).

كم بين حبة لؤلؤ منظومة *** ثقبت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة:

إن المطية لا يلذ ركوبها *** ما لم تذلل بالزمام وتركب

والدر ليس بنافع أربابه *** ما لم يؤلف في النظام ويثقب"[110]

-

"لا تحقر شيئًا يخرج منك مثلك، يعني الجماع"[111]

-

"وقال عاصم المري لما توفت زوجته شعراً:

وكنت خليلتي وغلاف أيري *** فأمسى الأير ليس له غلاف"[112]

-

"وجاء عن عمر بن الخطاب : إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبح .

وقال لرجل : ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور. وقال: إني لأقشعر من الشاب ليست له امرأة.

ولو أعلم أنه ليس من الدنيا إلا ثلاثة أيام لأحببت أن أتزوج فيهن"[113]

---

110 (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جار الله الزمخشري، مج5، ص252).

111 (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جار الله الزمخشري، مج5، ص249).

112 (زهر الربيع، نعمة الله الجزائري، ط1 1421هـ-2000م، ص617).

113 (الإفصاح عن أحاديث النكاح، [شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي] بن حجر الهيتمي، تحقيق: محمد شكور أمرير المياديني، دار عمار، ط1 1406هـ-1986م، ص57-58).

-

قال ابن الجوزي: "وينبغي للمرأة العاقلة أن تتلمح مقصود الرجل فتتبعه، ومتى كان الرجل من أهل الصيانة والتدين وشرف النفس أحب سكوت المرأة عند الجماع، واستعمالها الوقار."

وقال: "ومن الرجال من يحب كلام المرأة حينئذ، ويميل إلى تهالكها عند الجماع ، ويقول هؤلاء : إذا باشرنا امرأة ساكتة فكأننا نطأ خشبة منجورة، قالوا: وإنما يطيب الأكل مع المتنادمين المتكلمين . ويجيب الأولون عن هذا ، فيقولون: إنما يقضي الرجل بالوطء حاجة نفسه ، فإذا تهالكت المرأة عليه كان كأنما يقضي حاجتها، وإنما يعز عند النفوس الممتنع لا المبذول"[114]

ولا شك أن أصحاب الذوق يستحسنون رهز (آهات) المرأة في الوطء.

-

"قال التيفاشي في قادمة الجناح: أجمع علماء الفرس، وحكماء المحبة العارفين بأحوال الباءة على أن إثارة الشهوة واستكمال المتعة لا يكون إلا بالموافقة التامة من المرأة، وتصنعها لبعلها في وقت نشاطه مما تتم به شهوته، وتكمل به متعته؛ من التودد والتملق، والإقبال عليه، والمثول بين يديه؛ من الهبات العجيبة، والزينة المستظرفة؛ التي تحرك ذوي الانكسار والفتور، وتزيد ذوي النشاط نشاطا.

---

[114] (أحكام النساء، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، ط1 1417هـ-1997م، ص266).

قال: فالمرأة الفطنة التبعل تراعي جميع هذه الأحوال؛ مما تتم به متعة الزوج. انتهى"[115]

-

"ولذة الرجل: إنما هي في الإنزال؛ بدليل أنه إذا أنزل؛ انكسر ما كان فيه من الشدة والقوة وفتر، وتنحى عن المرأة.

ولذة المرأة: ليست في الإنزال؛ بل يحدث لها عند الوطء حكة لا يذهبها إلا حكة الذكر بالمجامعة، فإذا خالطها الرجل ذهبت عنها تلك الحكة، ولهذا لا تضعف قوتها، ولا تفتر شهوتها، ولا تزال لذتها متصلة، لا غاية لها.

ولهذا أحب الرجال في النساء أطولهم مجامعة، وأبطأهم إنزالا"[116].

ومنه تعرف أن من جاء بدورة استجابة الإنسان للوطء (Human sexual response cycle) لم يأت بقولٍ جديد، وأن أصل قوله محفوظ في الأمم قبله.

-

"وقال آخر:

رأت حبي سعاد بلا جماع   فقالت حبلنا حبل انقطاع

---

115 (شقائق الأترج في رقائق الغنج، جلال عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، ص90).

116 (نواضر الأيك في معرفة النيك، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: طلعت حسن عبدالقوي، دار الكتاب العربي، ص58).

ولست أريد حبا ليس فيه   متاع منك يدخل في متاعي

فلو قبلتني ألفًا وألفًا   لما أرضيت إلا بالجماع

إذا ما الصب لم يك ذا جماع   يرى المحبوب كالشيء المضاع

جماع الصب غاية كل أنثى ... وداعية لأهل العشق داعي"[117]

-

"وأما قول القائل: " إن شهوة المرأة تزيد على شهوة الرجل "[118] فليس كما قال، والشهوة منبعها الحرارة، وأين حرارة الأنثى من حرارة الذكر؟ ولكن المرأة - لفراغها وبطالتها وعدم معاناتها لما يشغلها عن أمر شهوتها وقضاء وطرها - يغمرها سلطان الشهوة، ويستولي عليها، ولا يجد عندها ما يعارضه، بل يصادف قلبا فارغا ونفسا خالية فيتمكن منها كل التمكن؛ فيظن الظان أن شهوتها أضعاف شهوة الرجل، وليس كذلك، ومما يدل على هذا أن الرجل إذا جامع امرأته أمكنه أن يجامع غيرها في الحال، ((كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يطوف على نسائه في الليلة الواحدة)) ، وطاف سليمان على تسعين امرأة في ليلة، ومعلوم أن له عند كل امرأة شهوة وحرارة باعثة على الوطء،

---

[117] (روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، ط1 1431هـ، ص127).

[118] "قال ابن عقيل: قولهم: إن الله جعل للمرأة شهوة تزيد على شهوة الرجل بسبعة أجزاء. قال: لو كان كذلك ما جعل الله للرجل أن يتزوج بأربع ويتسرى بما شاء من الإماء، وضيق على المرأة فلا تزيد على رجل واحد، ولها من القسم الربع، وحاشا حكمته أن تضيق على الأحرج، وتوسع على من دونه في الحرج"
(بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، المجلد الرابع، ص1382).

والمرأة إذا قضى الرجل وطره فترت شهوتها، وانكسرت نفسها، ولم تطلب قضاءها من غيره في ذلك الحين، فتطابقت حكمة القدر والشرع والخلق والأمر، ولله الحمد"[119].

-

"وقال بعضهم: الغلام استطاعة المعتزلة لأنه يصلح للضدين يفعل ويفعل به والمرأة استطاعة المجبرة لا تصلح إلا لأحد الضدين"[120].

-

"قيل لحكيم كم ينبغي للإنسان أن يجامع قال في كل سنة مرة قيل فإن لم يقدر ففي كل شهر مرة قيل فإن لم يقدر قال ففي كل أسبوع مرة قيل فإن لم يقدر قال هي روحه أي وقت شاء أخرجها"[121].

-

"الحمد الله الذي جعل اللذة الكبرى للرجال في فروج النساء وجعلها للنساء في أيور الرجال . فلا يرتاح الفرج ولا يهدأ ولا يقر له قرار إلا إذا دخله الأير و[لا][122] الأير إلا إذا دخل بالفرج. فإذا اتصل هذا بهذا وقع بينهما النكاح والنطاح وشديد القتال . وقربت الشهوتان بالتقاء العانتين وأخذ الرجل في الدك والمرأة في الهز، بذلك يقع الإنزال"[123].

---

119 (إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، ط1 1423هـ، المجلد الثالث، ص326-327).

120 (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، ط1 1420هـ-1999م، ج2، ص265).

121 (زهر الربيع، نعمة الله الجزائري، ط1 1421هـ-2000م، ص557).

122 زيادة يقتضيها السياق وليست موجودة في النسخة الالكترونية.

123 (الروض العاطر، النفزاوي، نسخة الكترونية، ص3).

-

"ليست الرغبة الجنسية[124] اختراعًا، وإنما هي اكتشاف الحاذق! فالزوج المحنك هو الذي يستطيع الكشف عن مكامن هذه الرغبة، فيحسن استغلالها وتلبيتها؛ تنمية للمودة"[125]

-

تمت المتفرقات

[124] يعني شهوة النكاح.

[125] (أفكار خارج القفص، عبدالرحمن أبو ذكري، دار تنوير، ط1 1436هـ-2014م، ص33).

الملحق الثاني

حكايات في قوة غريزة الوطء وتمكنها من النفس

هم[126] يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾[127] [يوسف/24].

"حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، ثنا سفيان، عن عثمان بن أبي سليمان، عن ابن أبي مليكة سئل ابن عباس، عن هم يوسف، فقال: حل الهميان، وجلس منها مجلس الخاتن، فنودي: يا ابن يعقوب أتزني؟ فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه، فذهب يطير فلم يستطع"[128].

"حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا ابن نمير، وأبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: حل سراويله حتى بلغ ثنته، فمثل له يعقوب فضرب في صدره، فخرجت شهوته من أنامله"[129].

"حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: جلس منها مجلس الرجل من امرأته"[130].

---

[126] في المسألة أقوال أخرى، ولكنني اعتنيت بذكر هذه الأقوال المخصوصة وحسب.
[127] وردت أقوال كهذه في تفسير قوله تعالى: ((ولقد راودته عن نفسه فاستعصم...الآية)) [يوسف/32].
[128] (تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1 1417هـ - 1997م، المجلد السابع، ص2122).
[129] (تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1 1417هـ - 1997م، المجلد السابع، ص2123).
[130] (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط1 1422هـ-2001م، الجزء الثالث عشر، ص84).

"وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه هم بها، وهم أعلم بالله وبتأويل كتابه، وأشد تعظيما للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم"[131]

قال الثعلبي: "والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من تثبيت الهم ليوسف غير عائبين له ولا طاعنين، بل نقول: إن انصرافه بعد ثبات الهم وحل السراويل، وجلوسه من المرأة مجلس الرجل، تعظيمًا لله ومعرفة لحقه، أدل على محافظته على مذهب آبائه، وعلي وفور الثواب وتكامل الأجر له عند إيثار الطاعة على اللذة؛ لأنه انكشف عن المرأة في الحال التي لا ينكشف فيها إلا بَرٌّ مخلص، فكان انكشافه وصبره ماحيًا عنه سيئة الهم، وموجبًا له حسنات مضاعفات" (تفسير الواحدي).

خبر هاروت وماروت:

قال تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ [البقرة/102].

---

[131] (الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1 1427هـ-2006م، الجزء الحادي عشر، ص313).

"وأخرج عبدالرزاق[132] ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان، من طريق الثوري ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن كعب قال : ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب ، فقيل : لو كنتم مكانهم لأتيتم مثل ما يأتون ، فاختاروا منكم اثنين . فاختاروا هاروت وماروت ، فقيل لهما : إني أرسل إلى بني آدم رسلًا ، فليس بيني وبينكم رسول ، انزلا ، لا تشركا بي شيئًا ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمر . قال كعب : فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه"[133].

سبب نزول قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)):

قال تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾

---

[132] ارتأيت النقل عن السيوطي من الدر المنثور بدلًا من النقل عن المصادر الأصلية لأنه يستوعب مخرّجي الأثر، فتزداد الفائدة بذلك.

[133] (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين [عبدالرحمن بن أبي بكر] السيوطي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1 1424هـ-2003م، الجزء الأول، ص510-511).

قال الواحدي في البسيط: "قوله تعالى: ﴿أحل لكم﴾ الآية قال المفسرون: كان في أول فرض الصيام الجماع محرما في ليل الصيام، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة، فأحل الله عز وجل ذلك كله إلى طلوع الفجر"

وقال ابن كثير: "وقوله: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل بن حيان: يعني هن سكن لكم، وأنتم سكن لهن.

وقال الربيع بن أنس: هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن.

وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه، فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان، لئلا يشق ذلك عليهم، ويحرجوا، قال الشاعر إذا ما الضجيع ثنى جيدها ... تداعت فكانت عليه لباسا...

وكان السبب في نزول هذه الآية كما تقدم في حديث معاذ الطويل، وقال أبو إسحاق عن البراء ابن عازب قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائما فنام قبل أن يفطر، لم يأكل إلى مثلها، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما، وكان يومه ذاك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك. فغلبته عينه فنام، وجاءت امرأته، فلما رأته نائما قالت: خيبة لك! أنمت؟ فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ إلى قوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ ففرحوا بها فرحا شديدا.

ولفظ البخاري هاهنا من طريق أبي إسحاق: سمعت البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء، رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن أناسا من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن﴾ وكذا روى العوفي عن ابن عباس.

وقال موسى بن عقبة، عن كريب، عن ابن عباس، قال: إن الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم ما نزل فيهم يأكلون ويشربون، ويحل لهم شأن النساء، فإذا نام أحدهم لم يطعم ولم يشرب ولا يأتي أهله حتى يفطر من القابلة، فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعدما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله، ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال: أشكو إلى الله وإليك الذي صنعت. قال: "وماذا صنعت؟ " قال: إني سولت لي نفسي، فوقعت على أهلي بعد ما نمت وأنا أريد الصوم. فزعموا أن النبي ﷺ قال: "ما كنت خليقا أن تفعل". فنزل الكتاب: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قيس بن سعد، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة في قول الله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ إلى قوله: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ قال: كان

المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتى يفطروا، وإن عمر بن الخطاب أصاب أهله بعد صلاة العشاء، وأن صرمة بن قيس الأنصاري غلبته عينه بعد صلاة المغرب، فنام ولم يشبع من الطعام، ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله ﷺ العشاء، فقام فأكل وشرب، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فأنزل الله عند ذلك: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ يعني بالرفث: مجامعة النساء ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ يعني: تجامعون النساء، وتأكلون وتشربون بعد العشاء ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن﴾ يعني: جامعوهن ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ يعني: الولد ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ فكان ذلك عفوا من الله ورحمة.

وقال هشيم، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، إني أردت أهلي البارحة على ما يريد الرجل أهله فقالت: إنها قد نامت، فظننتها تعتل، فواقعتها، فنزل في عمر: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾

وهكذا رواه شعبة، عن عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى، به.

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني المثنى، حدثنا سويد، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، حدثني موسى بن جبير -مولى بني سلمة -أنه سمع عبد الله بن كعب بن مالك يحدث عن أبيه قال: كان

الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام، حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد. فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي ﷺ ذات ليلة وقد سمر عنده، فوجد امرأته قد نامت، فأرادها، فقالت: إني قد نمت! فقال: ما نمت! ثم وقع بها. وصنع كعب بن مالك مثل ذلك. فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن﴾ [الآية].

وهكذا روي عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والسدي، وقتادة، وغيرهم في سبب نزول هذه الآية في عمر بن الخطاب ومن صنع كما صنع، وفي صرمة بن قيس؛ فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة ورخصة ورفقا"

خبر حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة:

عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى انتهى بعضهم إلى دون الأعراض على جبل بناحية المدينة، ثم رجعوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد كان حنظلة بن أبي عامر التقى هو وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود، فعلاه شداد بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن صاحبكم حنظلة تغسله الملائكة، فسلوا صاحبته))، فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهائعة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((فذاك قد غسلته الملائكة)) [ابن حبان].

وفي رواية عند الحاكم "أن حنظلة بن أبي عامر تزوج فدخل بأهله الليلة التي كانت صبيحتها يوم أحد، فلما صلى الصبح لزمته جميلة، فعاد فكان معها فأجنب منها، ثم أنه لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم".

خبر الثلاثة أصحاب الغار:

وفي الحديث المشهور عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم)) والشاهد قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها)) إلى آخر الحديث [البخاري]. وفي آخره أن الصخرة انفرجت وانزاحت بعد دعاء الثالث. ويستفاد من القصة قوة غريزة الوطء إذ لو لم يتذكر الرجل ثواب الله العظيم في ترك هذه المعصية بعد توافر أسبابها، وإذ لم يخش عقابه العظيم لو ارتكبها، لما تمكن من تركها بعد أن كاد يقارفها.

قال الفخر الرازي: "وذلك لأن المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوي فلا بد وأن يقع هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة " انتهى.

ولقوة داعية الوطء، وشدة وطأتها على النفس، فقد رتب الله عز وجل ثوابًا عظيمًا لمن ترك مقارفتها في الفرج الحرام، ففي الحديث المشهور عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)) وذكر منهم ((ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله)) [البخاري ومسلم].

الملحق الثالث

صفة الحور العين

قال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ [البقرة/25].

وقال تعالى: ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون ﴾ [الصافات/48-49].

وقال سبحانه: ﴿وحور عِين * كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة/22-23].

وقال جل في علاه: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء *فجعلناهن أبكارا * عربا أترابا﴾ [الواقعة/35-38].

وقال عز من قائل: ﴿وكواعب أترابا﴾ [النبأ/33].

وأما الأحاديث النبوية فقد ساق ابن القيم طرفًا منها في كتابه الماتع (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) فليُراجع.

واقرأ صفة "عرائس الجنات" كما فصلها ابن القيم في نونيته فقال:

"فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اخـ... ـتر لنفسك يا أخا العرفان

حور حسان قد كملن خلائقا ... ومحاسنا من أجمل النسوان

حتى يحار الطرف في الحسن الذي ... قد ألبست فالطرف كالحيران

ويقول لما أن يشاهد حسنها ... سبحان معطي الحسن والإحسان

والطرف يشرب من كؤوس جمالها ... فتراه مثل الشارب النشوان

كملت خلائقها وأكمل حسنها ... كالبدر ليل الست بعد ثمان

والشمس تجري في محاسن وجهها ... والليل تحت ذوائب الأغصان

فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ... ليل وشمس كيف يجتمعان

فيقول سبحان الذي ذا صنعه ... سبحان متقن صنعة الإنسان

لا الليل يدرك شمسها فتغيب عنـ ... ـد مجيئه حتى الصباح الثاني

والشمس لا تأتي بطرد الليل بل ... يتصاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآة صاحبه إذا ... ما شاء يبصر وجهه يريان

فيرى محاسن وجهه في وجهها ... وترى محاسنها به بعيان

حمر الخدود ثغورهن لآلئ ... سود العيون فواتر الأجفان

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران

ولقد روينا أن برقا ساطعا ... يبدو فيسأل عنه من بجنان

فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك ... في الجنة العليا كما تريان

لله لاثم ذلك الثغر الذي ... في لثمه إدراك كل أمان

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ... ب فغصنها بالماء ذو جريان

لما جرى ماء النعيم بغصنها ... حمل الثمار كثيرة الألوان

فالورد والتفاح والرمان في ... غصن تعالى غارس البستان

والقد منها كالقضيب اللدن في ... حسن القوام كأوسط القضبان

في مغرس كالعاج تحسب أنه ... عالي النقا أو واحد الكثبان

لا الظهر يلحقها وليس ثديها ... بلواحق للبطن أو بدوان

لكنهن كواعب ونواهد ... فثديهن كألطف الرمان

والجيد ذو طول وحسن في بيا ... ض واعتدال ليس ذا نكران

يشكو الحلي بعاده فله مدى الـ... أيام وسواس من الهجران

والمعصمان فان تشأ شبههما ... بسبيكتين عليهما كفان

كالزبد لينا في نعومة ملمس ... أصداف در دورت بوزان

والصدر متسع على بطن لها ... حفت به خصران ذا ثمان

وعليه أحسن سرة هي مجمع الـ ... خصرين قد غارت من الأعكان

حق من العاج استدار وحوله ... حبات مسك جل ذو الإتقان

وإذا انحدرت رأيت أمرا هائلا ... ما للصفات عليه من سلطان

لا الحيض يغشاه ولا بول ولا ... شيء من الآفات في النسوان

فخذان قد حفا به حرسا له ... فجنابه في عزة وصيان

قاما بخدمته هو السلطان بيـ ... نهما وحق طاعة السلطان

وهو المطاع أميره لا ينثني ... عنه ولا هو عنده بجبان

وجماعها فهو الشفا لصبها ... فالصب منه ليس بالضجران

وإذا يجامعها تعود كما أتت ... بكرا بغير دم ولا نقصان

فهو الشهي وعضوه لا ينثني ... جاء الحديث بذا بلا نكران

ولقد روينا أن شغلهم الذي ... قد جاء في يس دون بيان

شغل العروس بعرسه من بعدما ... عبثت به الأشواق طول زمان

بالله لا تسأله عن أشغاله ... تلك اليالي شأنه ذو شان

واضرب لهم مثلا بصب غاب عن ... محبوبه في شاسع البلدان

والشوق يزعجه إليه وما له ... بلقائه سبب من الإمكان

وافى إليه بعد طول مغيبه ... عنه وصار الوصل ذا إمكان

أتلومه إن صار ذا شغل به ... لا والذي أعطى بلا حسبان

يا رب غفرا قد طغت أقلامنا ... يا رب معذرة من الطغيان

أقدامها من فضة قد ركبت ... من فوقها ساقان ملتفان

والساق مثل العاج ملموم يرى ... مخ العظام وراءه بعيان

والريح مسك الجسوم نواعم ... واللون كالياقوت والمرجان

وكلاهما يسبي العقول بنغمة ... زادت على الأوتار والعيدان

وهي العروب بشكلها وبدرها ... وتحبب للزوج كل أوان

وهي التي عند الجماع تزيد في ... حركاتها للعين والأذنان

لطفا وحسن تبعل وتغنج ... وتحبب تفسير ذي العرفان

تلك الحلاوة والملاحة أوجبا ... إطلاق هذا اللفظ وضع لسان

فملاحة التصوير قبل غناجها ... هي أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لصب وامق ... بلغت به اللذات كل مكان

أتراب سن واحد متماثل ... سن الشباب لأجمل الشبان

بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الـ ... محبوب من إنس ولا من جان

حصن عليه حارس من أعظم الـ ... حراس بأسا شأنه ذو شان

فإذا أحس بداخل للحصن ولـ ... ى هاربا فتراه ذا إمعان

ويعود وهنا حين رب الحصن يخـ ... رج منه فهو كذا مدى الأزمان

وكذا رواه أبو هريرة أنها ... تنصاغ بكرا للجماع الثاني

لكن دراجا أبا السمح الذي ... فيه يضعفه أولو الإتقان

هذا وبعضهم يصحح عنه في التـ ... فسير كالمولود من حبان

فحديثه دون الصحيح وإنه ... فوق الضعيف وليس ذا إتقان

يعطي المجامع قوة المائة التي اجـ ... تمعت لأقوى واحد الإنسان

لا أن قوته تضاعف هكذا ... إذ قد يكون لأضعف الأركان

ويكون أقوى منه ذا نقص من الـ ... إيمان والأعمال والإحسان

ولقد روينا أنه يغشى بيو ... م واحد مائة من النسوان

ورجاله شرط الصحيح رووا لهم ... فيه وذا في معجم الطبراني

هذا دليل أن قدر نسائهم ... متفاوت بتفاوت الإيمان

وبه يزول توهم الإشكال عن ... تلك النصوص بمنة الرحمان

وبقوة المائة التي حصلت له ... أفضى إلى مائة بلا خوران

وأعفهم في هذه الدنيا هو الـ ... أقوى هناك لزهده في الفاني

فاجمع قواك لما هناك وغمض الـ ... عينين واصبر ساعة لزمان

ما ههنا والله ما يسوى قلا ... مة ظفر واحدة ترى بجنان

ما ههنا إلا النقار وسيء الـ ... أخلاق مع عيب ومع نقصان

هم وغم دائم لا ينتهي ... حتى الطلاق أو الفراق الثاني

والله قد جعل النساء عوانيا ... شرعا فأضحى البعل وهو العاني

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن ... تفعل رجعت بذلة وهوان

وإذا بدت في حلة من لبسها ... وتمايلت كتمايل النشوان

تهتز كالغصن الرطيب وحمله ... ورد وتفاح على رمان

وتبخترت في مشيها ويحق ذا ... لك لمثلها في جنة الحيوان

ووصائف من خلفها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان

كالبدر ليلة تمه قد حف في ... غسق الدجى بكواكب الميزان

فلسانه وفؤاده والطرف في ... دهش وإعجاب وفي سبحان

فالقلب قبل زفافها في عرسه ... والعرس إثر العرس متصلان

حتى إذا ما واجهته تقابلا ... أرأيت إذ يتقابل القمران

فسل المتيم هل يحل الصبر عن ... ضم وتقبيل وعن فلتان

وسل المتيم اين خلف صبره ... في أي واد أم بأي مكان

وسل المتيم كيف حالته وقد ... ملئت له الأذنان والعينان

من منطق رقت حواشيه ووج ... ه كم به للشمس من جريان

وسل المتيم كيف عيشته إذا ... وهما على فرشيهما خلوان

يتساقطان لآلئا منثورة ... من بين منظوم كنظم جمان

وسل المتيم كيف مجلسه مع الـ ... محبوب في روح وفي ريحان

وتدور كاسات الرحيق عليهما ... بأكف أقمار من الولدان

يتنازعان الكأس هذا مرة ... والخود أخرى ثم يتكئان

فيضمها وتضمه أرأيت معـ ... شوقين بعد البعد يلتقيان

غاب الرقيب وغاب كل منكد ... وهما بثوب الوصل مشتملان

أتراهما ضجرين من ذا العيش لا ... وحياة ربك ما هما ضجران

ويزيد كل منهما حبا لصا ... حبه جديدا سائر الأزمان

ووصاله يكسوه حبا بعده ... متسلسلا لا ينتهي بزمان

فالوصل محفوف بحب سابق ... وبلاحق وكلاهما صنوان

فرق لطيف بين ذاك وبين ذا ... يدريه ذو شغل بهذا الشان

ومزيدهم في كل وقت حاصل ... سبحان ذي الملكوت والسلطان

يا غافلا عما خلقت له انتبه ... جد الرحيل فلست باليقظان

سار الرفاق وخلفوك مع الألى ... قنعوا بذا الحظ الخسيس الفاني"[134]

تم النقل المقصود عن ابن القيم وقد وصلت الأبيات ببعضها بحذف كلمة "فصل" التي فصلت بينها.

[134] (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي – ناصر بن يحيى الحنيني – عبدالله بن الرحمن الهذيل – فهد بن علي المساعد، دار عالم الفوائد، ط1 1428هـ، ص280-285).

الملحق الرابع

من آثار الوطء في كتب الشيعة

يحسن أن لا تخلو هذه الرسالة من ذكر طرفٍ مما كتبه الشيعة في النكاح، فهو من جملة تراث المسلمين، وهو يثري ما سبق ويزيد عليه.

ولجهلي الشديد بتراث القوم، فقد استفدت من بعض كتبهم المعاصرة المختصة، فهي أقصر سبيل للدلالة على ما عند القوم من آثار وأخبار.

وليُعلم أن النقل هنا لا يقتضي الموافقة أو المخالفة بل هو لمطلق الفائدة. والعلماء ربما نقلوا عن أدباء وشعراء مخرومة مروءتهم، مقدوحٍ في عدالتهم. فأن ينقل عمن يشبه ذلك ولو مع مخالفة الاعتقاد الحق أولى.

"قال أمير المؤمنين عليه السلام: خلق الله عزوجل الشهوة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء في النساء، وجزءًا واحدًا في الرجال، ولولا ما جعل الله عزوجل فيهن من الحياء على قدر أجزاء الشهوة، لكان لكل رجل تسع نسوة متعلقات به"[135]

"قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله عز وجل جعل للمرأة صبر عشرة رجال، فإذا هاجت كانت لها قوة شهوة عشرة رجال"[136].

[135] (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص97) نقلًا عن الكافي.
[136] (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص98) نقلًا عن وسائل الشيعة.

"عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه الحاجة، فقال: تزوج، فتزوج فوسع عليه"[137]

"عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سعادة المرء أن لا تطمث ابنته في بيته"[138]

"عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتى أحدكم امرأته فلا يعجلها"[139]

"عن أبي جعفر عليه السلام قال: لهو المؤمن في ثلاثة أشياء: التمتع بالنساء، ومفاكهة الإخوان، والصلاة بالليل"[140]

"في الرسالة الذهبية للإمام الرضا عليه السلام: ... ولا تجامع المرأة حتى تلاعبها وتكثر ملاعبتها، وتغمز ثدييها؛ فإنك إذا فعلت ذلك غلبت شهوتها، واجتمع ماؤها؛ لأن ماءها يخرج من ثدييها، والشهوة تظهر من وجهها وعينيها، واشتهت منك الذي تشتهيه منها، ولا تجامع النساء إلا وهي طاهرة"[141]

"سألنا أبوعبدالله عليه السلام أي شيء ألذ؟ فقلنا: غير شيء فقال هو: ألذ الأشياء مباضعة النساء"[142]

---

137 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص135) نقلًا عن وسائل الشيعة.
138 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص140) نقلًا عن وسائل الشيعة.
139 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص372) نقلًا عن مستدرك الوسائل.
140 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص373) نقلًا عن بحار الأنوار.
141 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص373) نقلًا عن بحار الأنوار.
142 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص373) نقلًا عن وسائل الشيعة.

"قال أبو عبدالله عليه السلام: ما تلذذ الناس في الدنيا والآخرة بلذة أكثر لهم من لذة النساء؛ وهو قول الله عز وجل: ((زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين)) إلى آخر الآية ثم قال: وإن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح، لا طعام ولا شراب"[143]

"عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لآخر: تسجد سجدة، ثم تقول: اللهم أدم فيهن لذتي، وكثر فيهن رغبتي، وقو عليهن ضعفي حلالًا من عندك سيدي"[144].

"عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه سئل عن الجماع، فقال عليه السلام: حياء يرتفع، وعورات تجتمع، أشبه شيء بالجنون، الإصرار عليه هرم، والإفاقة منه ندم، ثمرة حلاله الولد، إن عاش فُتِن، وإن مات فَتَن.

وقال عليه السلام: من أكثر المناكح غشيته الفضائح"[145]

"وفي حديث آخر قال: جهاد المرأة حسن التبعل"[146]

"...عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا نظر أحدكم إلى المرأة الحسناء فليأت أهله، فإن الذي معها مثل الذي مع تلك، فقام رجل فقال: يا رسول الله، فإن لم يكن له أهل، فما يصنع؟ قال: فليرفع نظره إلى السماء وليراقبه وليسأله من فضله" [وسائل الشيعة][147].

---

143 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص374) نقلًا عن وسائل الشيعة.
144 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص374) نقلًا عن بحار الأنوار.
145 (موسوعة المرأة في الأخبار والآثار، مهدي المهريزي – رسول جعفريان، المجلد الأول، ص378) نقلًا عن مستدرك الوسائل.
146 (مكارم الأخلاق، أبو نصر الطبرسي، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة النشر الإسلامي، ط4 1425هـ، الجزء الأول، ص465).
147 قد وجدت في هذا الكتاب من تفصيل الصور والمسائل ما لم أجده في غيره، وهذه مزية حسنة.

"...عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل: أصبحت صائماً؟ فقال: لا، قال: فأطعمت مسكيناً؟ قال: لا، قال: فارجع إلى أهلك فإنه منك عليهم صدقة" [وسائل الشيعة].

"...عن علي بن جعفر، قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن الرجل يقبّل قبل امرأته؟ قال: لا بأس" [وسائل الشيعة].

"...عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة من الجفا: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب وأن يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة" [وسائل الشيعة].

"...عن أبي الحسن عليه السلام في الرجل يجامع فيقع عنه ثوبه؟ قال: لا بأس" [وسائل الشيعة].

"...عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في كل شيء إسراف إلا في النساء، قال الله: ((فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع))" [وسائل الشيعة].

تمت اللمحات بحمد الله.

الملحق الخامس

الوطء بين شهوة الرجال وامتناع النساء

اعلم أنني بحثت طويلًا عن مصنفٍ حديث عربي في علم نفس الباه (psychology of sex) وما اتصل به، ثم إنني وقعت على كتاب الدكتور شريف عرفة (لماذا يريد الرجل وترفض المرأة؟) وألفيته يفي بشيء من المطلوب، إذ فيه إشارات نافعة، وخلاصات ماتعة، ونتائج أبحاث علمية حرية بالمطالعة والنظر. واعلم أنني نقمت على الكتاب عدة مسائل: فمنها متابعة الغربيين في تسليم نظرية التطور أصلًا لتأريخ الإنسان، وكذا في إطلاقاتهم القاصرة التي سأعقب عليها إن شاء الله. أما لغة الكتاب فإنجليزية بالألفاظ العربية. ومن اتفق له مطالعة طرفٍ من كتب الأوائل، فلن تعجبه ألفاظ الكتاب، وربما وجد أن ما قرره من اكتشافات، إنما هي بديهيات عند أولي النهى. هذا ولأن كتاب الدكتور لا يخلو من فوائد، فقد أحببت تلخيص جملة من مقاصده ومعانيه، وسبكها في عبارات رشيقة تشابه عبارات الأوائل، مع الإشارة لمصطلحات الكتاب الأصلي. وقد علقت على بعض مواضع الكتاب، فميزت تعليقاتي بكلمة **قلت**. ثم استئنفت كلام المصنف بقولي **وذكر الدكتور**.

الفصل الأول: الالتذاذ بالوطء[148]

[148] (الرضا الجنسي) في الأصل

اعلم أن سعادة الزوجين باستقرار الزواج، ورسوخ المودة إنما تبنى على أصول منها الالتذاذ الوطء. وتنتقض السعادة وتزول بقدر زوال لذة بالوطء!

وأكثر سكان الأرض -على ما أحصاه الباحثون- لا يتلذذون بالوطء؛ بل ومنهم من لم ينل منه شيئًا! واعلم أن مرارة الوطء -الناشئة عن فقد لذته- تفضي بالزوجين إلى القلى والجفا والصدود.

هذا والناس يتهافتون على الوطء بقدر ما يذوقونه من حلاوته. فمن لم ينل منها حظًا وافرًا، قلّ نكاحه جدًا. لذا اشتكى الرجال إجحاف النساء في الوطء، واشتكى النساء غلو الرجال في طلبه! وما ذلك إلا من عِظم رغبة الرجال في الوطء، وضعف رغبة النساء فيه.

ورغبة الزوجين في الوطء تتناقص كلما أنجبا أطفالًا، والتجربة شاهدة بذلك. على أن المرأة لا تميل كل الميل لمراودة زوجها بعد الحمل والإنجاب، وإن أجابته فعلى مضضٍ.

على أن كثيرًا من الأزواج إنما أصابتهم فترة[149] الوطء بعد حين من الزواج، فلا تجد فيهم ميلًا ولا شوقًا لتجديد الوطء. إذ زال "حب الشهوة" أو كاد، وبقي "حب العشرة" الذي ليس فيه كبير ميلٍ للوطء ومقدماته. فالعادة تقرّب الزوجين وتؤلف بينهما، غير أنها تخفف شهوتهما للوطء.

قلت: ومما يشهد لذلك قول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾: " وذكر هاهنا أمرين:

---

[149] المقصود بالفترة: الفتور. وفي الحديث في البخاري: ((ثم فتر عني الوحي فترة)). وقد عبر المؤلف عن ذلك في الأصل بقوله (الفتور الجنسي).

أحدهما: يفضي إلى الآخر، فالمودة تكون أولا ثم إنها تفضي إلى الرحمة، ولهذا فإن الزوجة قد تخرج عن محل الشهوة بكبر أو مرض ويبقى قيام الزوج بها وبالعكس"

وقال أيضًا: " لأن الإنسان يجد بين القرينين من التراحم ما لا يجده بين ذوي الأرحام، وليس ذلك بمجرد الشهوة فإنها قد تنتفي وتبقى الرحمة، فهو من الله ولو كان بينهما مجرد الشهوة، والغضب كثير الوقوع وهو مبطل للشهوة، والشهوة غير دائمة في نفسها لكان كل ساعة بينهما فراق وطلاق، فالرحمة التي بها يدفع الإنسان المكاره عن حريم حرمه هي من عند الله ولا يعلم ذلك إلا بفكر" انتهى.

ذكر الدكتور منافع الوطء[150]

وجد علماء الباه أن شكيمة ذكور الفئران في الملمات[151] إنما كانت لتهافتهم على الوطء. ووجدوا كذلك أن الوطء يجلو وجه الإنسان، ويعيد شبابه ولو طال به الأجل، وربما اقترنت كثرة الوطء مع طول أعمار الرجال، وزعم بعضهم أنها تعينهم على توقي سرطان البروستاتا وأزمات القلب. وأما النساء، فيزيدهن الوطء قوة إلى قوتهن، ويصين لهن المهبل، ويهون عليهن انقطاع الطمث.

هذا وللازمة الوطء أثر في تخفيف الوزن، وتحسين وظائف الدماغ -كالذاكرة-، وتوخي نزلات البرد.

---

[150] في الأصل (فوائد الجنس)

[151] وهي في الأصل مواجهة الضغوط.

وقد زعم بعضهم أن مني الرجل (السائل المنوي) يبهج النساء، ويزيل اكتئابهن، ويصبرهن على ملمات الحياة! وربما خفف عنهن احتمالية الإصابة بسرطان الثدي.

والوطء يقوي أواصر المحبة، إذ الوطء لا ينفصل عن الحب "بل هو أقصى تجلياته".

الفصل الثالث: غريزة الرجل

قاس الباحثون صبر الرجال عن نيل المال على صبرهم عن نيل الوطر. فوجدوا أن الرجال يصبرون على نيل المال الآجل، ولا يصبرون عن [تأخر] الوطء العاجل.

والواحد من الرجال ينساق عفوًا لتخصيب النساء بالوطء لوفرة مائه وحيواناته المنوية. والمرأة - خلافه- لا تنفعل بالتخصيب إلا إذا نشأت بويضتها مرة كل شهر. وقيل أن المرأة إنما ضعفت شهوتها عن الوطء لخوفها من الحمل، وشكها في مؤازرة الرجل إياها.

غرض النكاح نشوته[152]

نشوة النكاح[153] هي غايته القصوى التي يعقبها الفتور والخمول. وهذه النشوة العظيمة إنما حصلت بفيضان ماء الرجل وتدفقه من الذكر. وما تعاقب الرجال على طلب النكاح إلا طلبًا لهذه النشوة العظيمة التي تستلزم التناسل والتكاثر كما كان يفعل أباؤهم (رجال الكهف).

---

[152] في الأصل (الهدف = الأورجازم)

[153] لا أحب أن أستخدم كلمة الأورجازم الأعجمية لغناء العربية عنها، إذ ما يجده الإنسان في نفسه من اللذة العظمى والشهوة الكبرى حال الوطء مما يشترك الناس في إدراكه، فيتعذر أن يفتقروا إلى كلمة أجنبية عن لغتهم للتعبير عنهمن أن تعبر عنه لفظة أعجمية حادثة، فلتكن نشوة بالقياس لنشوة الخمر.

قلت: لا يخفى أن الشرع دالٌ على أننا من نسل آدم عليه السلام أبي البشر وأنه بلغ غاية الإدراك والفهم، بل وفي الحديث أن طوله ستون ذراعًا، وأن أبناؤه أخذوا يتناقصون في الطول حتى بلغنا ما بلغناه من الطول.

هذا وللتطوريين ظنون وأوهام كثيرة في أصل الإنسان ونشأته، وهي لست بشيء عند التحقيق لأنها تعارض الشرع الإلهي المعصوم. والكاتب جارٍ على غرارهم في الألفاظ والأوهام. فالله المستعان.

ظاهرة كولدج[154]

ثبت بالتجارب أن لذكور الفئران والخنافس والأسماك وغيرها من الحيوانات نزوعًا راسخًا وميلًا قويًا للنكاح يجدده رؤية الأنثى. ولو نال الواحد من هؤلاء تعب شديد من النكاح، لوجدته ينشط له بمجرد رؤية أنثى مغايرة. وهذه الظاهرة لا تختص بالحيوان، بل هي موجودة في الإنسان كذلك. وسر ذلك غريزة التكاثر الراسخة في رجال الكهف الأوائل، وقيل أنهم إنما أقبلوا على التكثر من مناكحة النساء بسبب قلتهم وضعف عددهم بالنسبة إلى النساء.

والحال أن الاكتفاء بزوجة واحدةٍ تأخر وقوعه في تاريخ البشرية، إذ تعدد الزوجات والإماء شائع في الأمم السابقة. كما أشار إلى ذلك الباحثون.

---

[154] وفي الأصل (تأثير كولدج) ولا يخفى أنها ترجمة في غاية الرداءة لقولهم Coolidge effect. إذ إن ترجمتها بكلمة تأثير توهم أن كولدج هو المؤثر وصاحب الأثر. مع أن حقيقة أثره هي ملاحظة هذه الظاهرة في الوجود، فنسبت الملاحظة إليه لا التأثير. فتأمل

ويرى الدكتور أن ما يخفف وطأة النكاح على الرجل هو انهماكه في علاقته مع زوجه، وصرف نفسه عن غيرها، ومجانبته الخيانة وتعدد الزوجات.

قلت: وأنت ترى أن المؤلف يخذل عن تعدد الزوجات، ويحض على الاكتفاء بالزوجة الواحدة مع اعترافه بأن ذلك عرف شاذ عما تواردت عليه البشرية واتفقت عليه الأمم السابقة. وما ذلك إلا لمتابعة الغربيين في كل ما يقولونه. ومن قبيح ما كرره المؤلف لفظ رجال الكهف وما يتضمنه من زعم تطور الإنسان وأنه كان في غاية التخلف والنقصان والبعد عن العلم والحضارة.

ذكر الدكتور غريزة المرأة[155]

أرجع الناس تمنع المرأة عن الوطء، وصعوبة انقيادها له إلى "امرأة الكهف" التي استثقلت الوطء لما يتبعه من الحمل والولادة، ولأنها لا تطمئن إلى من تعاشره إذ تخاف خيانته وإهماله إياها.

قلت: وهذا تفسير حسن، لولا ما يشوبه من دنس التطور الدارويني المزعوم. ويبدو أن الباحثين في علم النفس التطوري وما أشبهه من علومٍ ينقل عنها الدكتور يعمدون إلى ما تقرر في فِطر الناس، فيؤولونه، وينتهي بهم ذلك إلى زعم أنه دالٌ على التطور المزعوم. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وذكر الدكتور أن حاصل شهوة المرأة أنها استجابة أو انفعال لإرادة الرجل، إذ لا تنشأ رغبة المرأة في مقارفة النكاح والتمتع به إلا مع توافر شروط أخرى لا تتهيأ للرجل الذي ربما اشتهى الوطء دفعًا

155 كذا في الأصل

للسآمة والملل. فلا تستوي منزلة الوطء عند الرجال والنساء. وليس غرض المرأة من الوطء بلوغ نشوته وتحقيق لذته بخلاف الرجل.

قال الدكتور ما نصه: " كانت حياة القدماء تعيسة أساسها المعاناة وشح الموارد والصراع من أجل البقاء، لكن مع تطور الحضارة والعلم والوفرة، أصبح الإنسان رائق البال يفكر في ما يجعله أكثر سعادة.. بهذا المنطق يرى باحثون أن التركيز على النشوة الجنسية للمرأة مفهوم ثقافي حديث.. شيء اكتسبته المرأة بفعل الحضارة الحديثة وقيم المساواة والحق في الاستمتاع بالحياة.

قديما كان هدف المرأة الرئيسي هو إرضاء الزوج فقط واعتبار متعتها الخاصة مجرد أثر جانبي.. لكن مع تطور العصر اختلفت الأمور.. فحين قام العلماء بمقارنة دراسة عن الجنس أجريت في السبعينيات بأخرى أجريت، في التسعينيات، لمعرفة كيفية تطور عقليات الناس بمرور الزمن، لاحظوا أن استمتاع النساء بالجنس يزداد بالفعل مع تطور العصر" إلى آخر ما قاله.

قلت: وهذا آخر النقل والتلخيص عن كتاب الدكتور إلا أنني أحببت أن أعقب على ما قاله متابعة للغربيين. وأما زعم الدكتور أن العناية بشهوة المرأة وبحث ما يهيجها ويثيرها خاصٌ بأهل العصر لم تعرفه الأمم الغابرة، فباطلٌ ودالٌ على قصور استقرائه. إلا أنني أقتصر على بعض ما ينقض ذلك من شواهد الشرع وكلام العلماء.

قال تعالى: ﴿هن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن﴾.

وقال تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

وهذه الآيتان تدلان على الاشتراك في اللذة والشهوة.

وأما أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فمنها:

قوله صلى الله عليه وسلم: ((حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)).

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك)).

وفي شرح المناوي للحديث المتقدم ((إذا غشي الرجل أهله فليصدقها، فإن قضى حاجته، ولم تقض حاجتها فلا يعجلها)) قال: "(فإن سبقها) في الإنزال وهي ذات شهوة (فلا يعجلها) أي فلا يحملها على أن تعجل فلا تقضي شهوتها بل يمهلها حتى تقضى وطرها كما قضى وطره فلا يتنحى عنها حتى يتبين له منها قضاء أربها فإن ذلك من حسن المباشرة والإعفاف والمعاملة بمكارم الأخلاق والألطاف، زاد في رواية كما في الوشاح مع الستر ومص الشفة وتحريك الثديين ويؤخذ من هذا الحديث وما بعده أن الرجل إذا كان سريع الانزال بحيث لا يتمكن معه من إمهال زوجته حتى تنزل أنه يندب له التداوي بما يبطئ الانزال فإنه وسيلة إلى مندوب وللوسائل حكم المقاصد"[156] انتهى.

ومعلومٌ الخلاف في أن شهوة المرأة أعظم من شهوة الرجل. وقد تقدم ذكر ذلك.

---

[156] (فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، دار المعرفة، ط2 1391هـ - 1972م، الجزء الأول، ص325).

ولو أردت الاستفاضة في بيان ذلك لما انتهى بي المقام، ولكنني أختم ببعض ما جاء في قصيدة السيوطي في نواضر الأيك.

قال السيوطي: "تقول الغواني إن أردت وصالنا فوف شروط النيك وهي بلا حصر

فحسس وملس فوق خدي وجبهتي وكتفي وأردافي وما فوق من ظهري"

وقال: "تقول الغواني إن أردت وصالنا فوف شروط النيك وهي بلا حصر

فحسس وملس فوق خدي وجبهتي وكتفي وأردافي وما فوق من ظهري"

والقصيدة طويلة لا يسع المقام إيرادها كاملة، والمقصود حاصل بهذه الأبيات اليسيرة.

الملحق السادس

ذم لفظة الجنس

اعلم أنني لما تصفحت شيئًا من تراث المسلمين المتصل بالنكاح وأحكامه وآدابه وألفاظه وغير ذلك، ما وجدت عندهم لفظة "الجنس" التي شاعت في عصرنا. فاستوحشت هذا الاستخدام لعلمي بأن ألفاظ النكاح في العربية لا تكاد تنحصر لكثرتها. ونحن إن تكلمنا بلسان العامة، استخدمنا من ألفاظ الكنايات والتصريح ما يغني عن لفظة "الجنس". كيف وكلمة "الجنس" موهمة إذ الناس يصرحون بها عن النكاح، ويلمحون إليه ويومئون إن تعذر التصريح. وشر من ذلك شيوعها في مواضع لا تحتمل شيئًا من التلميح، كما يقع ذلك في كلام من امتهن المحاماة، أو الطب، أو تصدى لبيان أحكام الشرع. واعلم أنني أشرت لعجمة هذه الكلمة وكراهتي أن أستخدمها في أول نسخة من تذكير الأحرار، وكنت أحب أن أخلي كتاباتي من كلمة "الجنس" ومشتقاتها، وألا أستخدمها في غير ما دلت عليه. ثم إنني لما طالعت كتابة الترجمان الفاضل أحمد الغامدي الموسوم بـ"العرنجية" عظم احتفائي به، وفرحتي لموافقتي الحق الذي قرره وبيّنه في لفظة الجنس وما شابهها من التراكيب الأعجمية المتشبهة زورًا بلغة العرب.

ولما عظم انتفاعي بكتاب العرنجية، أحببت أن أنقل منه نقلًا طويلًا يناسب هذه الرسالة الموجزة عسى أن يرجع إليه القراء، فيستفيدون منه كما استفدت منه.

قال الترجمان أحمد الغامدي: "وأذكر لك بابًا فسدت أكثر ألفاظه يزيد إيضاح الأمر لك، ومعانيه قديمة قدم الدهر، ولها ألفاظ معروفة عند العرب من أيام جاهليتهم، وما زالوا يستعملونها إلى قبيل زمن الترجمة، حتى جاءت العرنجية، فعفت على ما سلف، وأبدلته شيئًا على طريقة الإفرنج.

وهذا الباب هو باب: (الجماع)، وهو من أخص ما يختص به المرء، وهو من ضرورات العيش التي كانت في الناس مذ خلقهم الله، وليس من محدثات العصر حتى يقال إنه تبدل لتبدل أغراض الزمان. هذا الباب تفرنجت منه ألفاظ كثيرة، أذكر لك بعضها. ولا يتمعرن وجهك مما أنا ذاكره من الألفاظ، فلا حياء في العلم.

وأول هذه الألفاظ قولهم: (sex، جنس) وهذه يراد بها في كلام الإنجليز الزوجان الذكر والأنثى. فترى جماعة من الإنجليز يترجمون قول الله تعالى ((وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)) بقولهم (خلق الجنسين). وليس هذا معنى الجنس أصلًا في العربية، وإنما يراد بالجنس النوع بإطلاق، كأن تقول (التمر جنس من الثمر) أي: نوع. أما أهل العصر فيستعملونه للزوجين الذكر والأنثى خاصةً تبعًا للإفرنج، فترجموا sex بقولهم جنس، أي نوع، وليس هذا معناها. ثم توسعت الإفرنج في لفظة sex وصارت تستعملها للجماع، فتقول: الجنس والعلاقة الجنسية أو النوع والعلاقة النوعية، كأنهم أرادوا أن هذا اجتماع بين هذين النوعين من الخلق. ولما كان أصحابنا يترجمون (sex) بمعنى الزوج بـ(الجنس)، ترجموها هنا ترجمة لفظية أيضًا، فقال (جنس وعلاقة جنسية). وأنت إذا تأملت قول بعض الكتاب: ((وذلك من زاوية أن الجنس محرم بدون زواج))، فكأنما يقول: (وذلك من زاوية أن

النوع محرم بدون زواج). واشتق الإنجليز من لفظة (الجنس) تراكيب كثيرة أخذها المترجمون على صورتها، وأقحموها في العربية وعدلوا عن التراكيب العربية إلى تراكيب الإفرنج. وقد ذكرت لك أن (الجنس) تعني (النوع)، وهذه لفظة عربية يكاد يمات معناها الأصلي، ولا تكاد ترى أحدًا يستعملها إلا بمعناها الإفرنجي. ولا يبعد أن يقرأ أحدٌ من المعاصرين قول ابن الفرات: ((أسرف في سبي وشتمي، ورماني بالزنا، فحلفت بالطلاق، والعتاق، والأيمان المغلظة، أني ما دخلت في محظور من هذا الجنس من نيف وثلاثين سنة)). فيظن أنه أراد بالجنس (الجماع) لا سيما أن ابن الفرات ذكر (الزنا) قبلها.

ومما تستعمله الإنجليز في ألفاظ الجماع قولهم: (فقدت عذريتها، أو خسرت عذريتها - lost her virginity)، فترجمها أصحابنا لفظيًا، وصارت تستعمل في العرنجية. والبكارة والعذرة إذا ذهبت قيل فضّت وافترعت، لا فقدت وخسرت.

ومن العبارات المقبوسة في العرنجية من كلام الإنجليز قولهم: (علاقة حميمة)، وهي من الإنجليزية intimate، وهي تطلق على من كان قريبًا من المرء من أودّائه وخاصته، فيقولون he is an intimate friend، أي هو صاحب حميم. ثم توسعت الإنجليز في هذا المعنى، فاشتقوا منها لفظة Intimacy أي (حميمية)، وجعلوها للعلاقة بين الرجل وصاحبته، وقالوا علاقة حميمية، أي علاقة قريبية، فأخذتها العرنجية على حالها.

ومما يذكر في هذا الباب من جهة الإماتة والتغليب، قولهم (انتصب الذكر)، والعرب تستعمل لهذا المعنى (الإنعاظ)، وليس هذا باللفظ الوحشي عندهم، بل إنك إذا نظرت إلى معاجم الأوائل وكتبهم وجدتهم إذا شرحوا الألفاظ الغريبة التي تكون لهذا المعنى كأشظ وودى وروّل استعملوا لفظة (أنعظ) فعرفت بذلك أنها لفظة معروفة مأنوسة. وأنت ترى الأوائل يستعملون لفظ (الإنعاظ) عفوًا في كتب الأدب والبلدان والأخبار والفقه والطب وسائر الفنون حتى قبيل عموم الفرنجة. واستعملت العرب غير هذا اللفظ أيضًا، كقولهم قام الذكر، وهذا الذي تستعمله عامتنا، وكقولهم: انتشر وانتفخ وورم ووتد، وغيرها من الألفاظ. فأميت ذلك كله وهُجِر ولم يستحيَ إلا لفظ (الانتصاب)، لموافقته كلام الإفرنج. وهو موافق لقول الإنجليز (erect)، فتأمل كيف عُدل عن هذه الألفاظ الكثيرة الغالبة إلى لفظ لا يرد في كلامهم إلا نادرًا، لا لأمر إلا لموافقته لغات الإفرنج، حتى صار المرء لا يحسن فهم كلام العرب إلا إذا شُرح له بألفاظ موافقة لكلام الإفرنج، وقد رأيت كثيرًا من المحققين إذا مر بألفاظ كالإنعاظ والانتشار شرحها في الحاشية باللفظة الموافقة لكلام الإفرنج، أقصد (انتصب).

وقد رأيت بعض المفسرين من أهل العصر لما جاء يعلق على قوله تعالى: (غير مسافحات ولا متخذات أخدان)، قال: ((الأشخاص الذين يقيمون علاقات جنسية غير مشروعة مع الجنس الآخر))، فشرح الآية بقول كل ألفاظه إنجليزية الروح: (have unlawful or illegitimate sexual relation with) فأبان لك أن العرنجية قربت العربية إلى كلام الإفرنج وباعدتها من عربية القرآن

وكلام العرب الفصيح، حتى صار المرء إذا أراد فهم الكلام العربي، شرحه بألفاظ إفرنجية الروح".

انتهى بطوله.

قلت: لست أحصي كم استفدت من كتاب العرنجية. فجزى الله مؤلفه خير الجزاء. فأحببت أن أقتدي به فقابلت ألفاظ العرنجية الشائعة بألفاظ العربية المعروفة إعانة لي وللقارئ الكريم على اعتياد ألفاظ العربية وإهمال ألفاظ العرنجية. واعلم أن استفادة مصطلحات المتقدمين إنما تكون بمطالعة كتبهم، وأخص هنا الكتب المصنفة في الباه والتي سبقت إليها الإشارة في الأسرار.

وها هنا كشافٌ للمصطلحات البديلة.

اللفظة العرنجية	مقابلها في العربية
الجنس/ممارسة الجنس/علاقة جنسية	الجماع/النكاح/الوقاع/الوطء
الغريزة الجنسية/غريزة الجنس	غريزة النكاح
الشهوة الجنسية	الغلمة/الاغتلام/شهوة النكاح أو الشهوة
الضعف الجنسي/العجز الجنسي	العنة/العجز
مشاهد جنسية	مجون/خلاعة/فحش

كلمات جنسية	بذاءة/فحش
الجنس خارج (إطار) الزواج	الزنا/الفاحشة
علاقة جنسية كاملة	إيلاج
أوضاع جنسية	أشكال الجماع/أحوال الجماع
ميول جنسية	ميول/شهوة

الملحق السابع

قصة آدم عليه السلام

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ [النساء/1].

وقال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف/189].

وقال تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ [الزمر/6].

و"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((استوصوا بالنساء ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء))" [البخاري].

وفي العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني: "حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان، حدثنا دحيم، حدثنا محمد بن شعيب، قال: حدثني عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم عليه

السلام مسح ظهره، فخرت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وانتزع ضلعًا من أضلاعه فخلق منه حواء -على نبينا وعليها الصلاة والسلام-))"[157].

وفي سنن ابن ماجه[158]: "قال أبو الحسن بن سلمة: حدثنا أحمد بن موسى بن معقل ثنا أبو اليمان المصري قال: سألت الشافعي عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((يرش من بول الغلام ويغسل من بول الجارية)) والماءان جميعًا واحد. قال: لأن بول الغلام من الطين والماء، وبول الجارية من اللحم والدم. ثم قال لي: فهمت؟ أو قال: لَقِنت؟ قلت: لا. قال: إن الله تعالى لما خلق آدم خُلقت حواء من ضلعه القصير. فصار بول الغلام من الماء والطين، وصار بول الجارية من اللحم والدم. قال: قال لي: فهمت؟ قلت: نعم. قال لي: نفعك الله به".

قال ابن أبي حاتم في التفسير: "قوله تعالى: ﴿وخلق﴾

به عن السدي، قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ قال: وجعل.

قوله تعالى: ﴿منها﴾

وبه عن السدي، قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ قال: حواء.

---

157 (العظمة، أبو الشيخ الأصبهاني عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، تحقيق: رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الجزء الخامس، ص1553). وقد قال المحقق في هذا الحديث: "الحديث صحيح ثابت من طرق أخرى" والله أعلم. واعلم أنني استفدت الحديث من البحث في المكتبة الشاملة، إذ وجدت الطبري نقل حديثًا رواه بصيغة التضعيف فقال: "لأنه روي عن رسول الله ﷺ: ((إن الله لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، ثم أسكنه بعد ذلك الجنة، وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه))" انتهى. على أنني لست أستروح إلى الحديث إن خرج عن الكتب التسعة، ولكنني أحببت سوقه هنا استئناسًا به لا احتجاجًا.

158 استفدته من تطبيق جامع الكتب التسعة لأنني كنت أبحث عن أي حديث فيه ذكر خلق حواء عليها السلام من ضلع آدم. فوجدت هذا الأثر، وليس لي أن أحكم عليه.

حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو عبد الرحمن الحارثي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وخلق منها زوجها﴾ قال: خلق حواء من آدم، من ضلع الخلف، وهو من أسفل الأضلاع.

قوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها﴾

حدثنا أبي، ثنا مقاتل بن محمد، ثنا وكيع، عن أبي هلال، عن قتادة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما يعني قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ قال: خلقت المرأة من الرجل، فجعل نهمتها في الرجال، وخلق الرجل من الأرض، فجعل نهمته في الأرض، فاحبسوا نساءكم.

حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ قال: حواء من قصير آدم وهو نائم، فاستيقظ، فقال: أثا بالنبطية، أي امرأة. وروي عن السدي وقتادة ومقاتل بن حيان أنها: حواءقوله تعالى: ﴿وبث﴾

حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، ثنا أحمد بن المفضل، ثنا أسباط، عن السدي، قوله: ﴿وبث منهما﴾ قال: بث: خلق، وروي عن مقاتل بن حيان نحو ذلك" انتهى.

قال الطبري: "القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: "وخلق منها زوجها"، وخلق من النفس الواحدة زوجها يعني بـ"الزوج"، الثاني لها. وهو فيما قال أهل التأويل، امرأتها حواء" انتهى.

وقال مكي بن أبي طالب: "﴿وخلق منها زوجها﴾ الآية.

قال مجاهد: خلق حواء عن قصيري آدم وهو نائم، استيقظ فقال "أثا" بالنبطية: امرأة.

قال السدي: أسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحيشا ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله تعالى من ضلعه، فسألها: من أنت؟ فقالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي.

قال ابن إسحاق: ألقى الله عز وجل على آدم السنة فنام فأخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحما، فخلق منه حواء ليسكن إليها، فلما انتبه رآها إلى جنبه فقال: لحمي ودمي، وزوجي، فسكن إليها.

وعن ابن عباس أنه قال: إن الله جل ذكره خلق آدم ﷺ بيده سبحانه وتعالى في جنات عدن، فرأى آدم ﷺ كل شيء يشبه بعضه بعضا، ولم ير في الجنة شيئا يشبهه، وأحب أن يكون معه من يشبهه ليأنس به، وأحب الله عز وجل أن يؤنسه بزوجته ليكون منهما النسل، فأسبته الله عز وجل، والجنة لا نوم فيها، ولا نعاس ولا سبات، فخلق حواء من ضلع من أضلاعه وهي: القصيري فلما ذهب عنه السبات رأى من يأنس به، ويشبهه فسمي إنسانا حيث أنس، فقال لها: ما أنت؟ قالت: أثا، وأثا بالسريانية أنثى، وقيل: معناه امرأة.

قال جماعة من المفسرين: لما خلق الله عز وجل (وتعالى) آدم ﷺ، ألقى عليه النوم، فلما نام خلق حواء من أحد أضلاعه، وهو لا يشعر ولا يألم، فلما انتبه فرآها قال: من هذه؟ قيل: هي زوجك، فعطف عليها، وأحبها ولو ألم لخلقها لم يحن عليها، ولم يعطف أبدا، وإنما سميت حواء لأنها خلقت من حي.

قال ابن عباس: خلق الرجل من الأرض فجعلت همته في الأرض، وخلقت المرأة من الرجل فجعلت همتها في الرجل، فاحبسوا نساءكم" انتهى.

قلت: وقد خالف بعضهم في خلق حواء -عليها السلام- من آدم -عليه السلام-، وزعموا أنها مخلوقة من جنسه، أو من نفس الطينة التي خلق منها. إذ ((منها)) في الآية دالة -بزعمهم- على الجنس لا للتبعيض. وقد رأيت أن المشتغلين بنقل أقوال الصحابة والتابعين لم ينقلوا شيئًا من هذا القول الحادث عنهم. بل كلهم كالمتفقين على أن حواء -عليه السلام- إنما خلقها الله عز وجل من آدم -عليه السلام- أي: أنها بعضٌ منه. وظواهر آيات القرآن دالة على ذلك. فلا يُلتفت إلى قول من خالف، والله أعلم.

تمت رسالة (تذكير الأحرار بما للوطء من أسرار).

ووقع الفراغ منها صبيحة الجمعة السابع والعشرين (27) من جمادى الأولى لعام ألف وأربعمائة وثلاثة وثلاثين من الهجرة النبوية (1443هـ) الموافق للواحد والثلاثين من ديسمبر لعام إحدى وعشرين وألفين من الميلاد (2021م).

وأحب ممن رأى خللًا أو خطأً في الرسالة، أو فائدة تستحق الزيادة أن يراسلني على بريدي:

Albara1500@hotmail.com

والحمد لله أولًا وآخرًا.

الفهرست